الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــة 08 مـــاي 1945 قالمة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسـم الفلسفـة
تخصص الفلسفــة التطبيقيــة

مذكرة

مكملة لنيل شهادة الماستر بعنوان:

فلسفة الأخلاق عند جون ديوي

من إعـداد الطالبتين:
- تريعــة آيـــة.
- بلحواس لبنـــى.

أعضاء لجنـــة المناقشـة

الأستاذ المشرف	الأستاذ الرئيسي	الأستاذ المناقش
فريدة كافي	شرماط فائزة	شويني علي

السنة الجامعية: 2023/2022

شكر وعرفان

نشكر الله تعالى الذي اكرمنا وأنعم علينا بالعافية و يسر لنا ووفقنا على إتمام هذه الدراسة، فله الحمد والشكر .

نتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير للأستاذة القديرة "كافي فريدة" التي كانت مشرفة على هذا العمل لما قدمته لنا من إرشادات ومراجع ساهمت في إثراء موضوعنا.

كما نوجه كل التقدير والشكر لأساتذة قسم الفلسفة بجامعة قالمة .

ونتقدم بالشكر والامتنان لوالدينا اللذان كانا بمثابة السند والعون لاستكمال هذا البحث، وكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

*إلى كل هؤلاء نقول شكرا جزيلا *

إهـــــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

إذا رزق بفرحة فابدأ بها مع "أمك"

الى ابوي وإخوتي

وكل من كان لهم الدور الأكبر في مساندتي

ومدي بالمعلومات القيمة

الى زوجي الذي ساندني كثيرا

أهدي لكم بحث تخرجي

داعية المولى -عز وجل- أن يطيل في

أعماركم، ويرزقكم بالخيرات

"آية"

إهـــــداء

الحمد لله الذي وفقنا

لإتمام هذا العمل

ونسأل الله أن يلهمنا سدادا

في الرأي والإخلاص في العمل.

أهدي هذا العمل المتواضع

الى أمي الغالية صاحبة القلب الطيب

والأفعال الحسنة "زهية"

الى جدتي وأمي الثانية، منيرة دربي

"الزهرة"

الى سندي ومصدر قوتي أبي الغالي

"جاب الله"

"لبنى"

مقدمة

تعتبر "الأخلاق" من بين أبرز مباحث الفلسفة التي حظيت باهتمام واضح لدى الفلاسفة قديما وحديثا، فظهر الاهتمام بالجانب الأخلاقي ، وكانت النظريات الأخلاقية التي وضعها الفلاسفة عبارة عن أسس وقواعد أخلاقية يتم اتخاذها كمبادئ عامة، لكن الفلسفة ومباحثها ونظرياتها تطورت بمرور الزمن، خاصة مع تغير الظروف الفكرية والسياسية والثقافية في كل عصر من العصور.

وإذا كانت أوروبا مهد الفلسفة منذ قدماء الإغريق إلى العصر الحديث مع فلاسفة الأنوار حيث عرفت فيها الفلسفة أوج تطورها وازدهارها، فإن الاهتمام بالفلسفة لم يبق داخل أوروبا بل انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو ما كان يعرف بـ"العالم الجديد" لتشهد الحكمة بذلك توجها فلسفيا جديدا نابعا من البيئة الأمريكية في حد ذاتها، حتى أصبح بعض الباحثين يحتكمون إلى المعيار الجغرافي في تقسيم المذاهب الفلسفية، فغالبا ما يقال أن الفلسفة الفرنسية فلسفة عقلانية، أما التيار المثالي فقد ساد ألمانيا، والتجريبي ساد انجلترا، أما الولايات المتحدة فشهدت تيارا فلسفيا جديدا.

وعليه، أصبحت هناك فلسفة أمريكية غلب عليها التيار 'البراغماتي" كمذهب فلسفي جديد معاصر، فحاولت البراغماتية مسايرة الاكتشافات العلمية الحاصلة خاصة تطور المنهج التجريبي وما حققه من تقدم بالنسبة للعلوم الطبيعية، كما مثلت ثورة على التيارات التقليدية، وسرعان ما أصبحت جزء لا يتجزأ من تاريخ الفلسفة. ومن أهم روادها نجد الفيلسوف الأمريكي جون ديوي (John Dewey) الذي يعتبر أحد أهم مؤسسي هذا المذهب بعد "بيرس" و"وليام جيمس"، والملاحظ أن أغلب المهتمين بالبراغماتية قد تطرقوا أليها في أغلب الأحيان في جانب المعرفة، فنحن في بحثنا هذا سنحاول الوقوف على البراغماتية لكن في مبحث الأخلاق، من هنا تأتي أهمية الموضوع، خاصة ونحن أصبحنا نلاحظ مدى ارتباط الظاهرة الأخلاقية بالواقع الانساني.

و بالتالي نطرح الاشكالية التالية: ماهي المنطلقات و الاسس التي بنى عليها جون ديوي فلسفته الأخلاقية؟

تفرعت عن هذه الإشكالية المركزية عدة مشكلات جزئية أهمها:

كيف تطور مبحث الأخلاق عبر العصور؟ وكيف يتسنى لنا ربط الأخلاق بالواقع المعاش؟ هل بإمكاننا تطبيق المنهج العلمي على الظاهرة الأخلاقية؟

من أجل الإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على خطة تضم مقدمة، مدخل مفاهيمي وخاتمة وبينهما ثلاثة فصول، فالمقدمة كانت عبارة عن إحاطة بموضوع الدراسة والبحث، تضمن اشكالية ومشكلات فرعية، أما المدخل المفاهيمي فيضم: أ- مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحا. ب- مفهوم البراغماتية لغة ، اصطلاحا.

الفصل الأول الموسوم بـ"التطور التاريخي لمفهوم الأخلاق والفلسفة البراغماتية" ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: التطور التاريخي لمفهوم الأخلاق تضمن أ-الأخلاق في الفكر الشرقي، ب- الأخلاق في الفلسفة اليونانية والأخلاق في العصور الوسطى والحديثة.

المبحث الثاني: جذور الفلسفة البراغماتية حيث تناولنا فيه أ- الجذر الفلسفي البراغماتي، ب- الجذر العلمي.

أما المبحث الثالث: تناولنا فيه حركة التنوير في المجتمع الأمريكي الذي يتضمن الشخصيات التي مثلت عصر الاستنارة الأمريكي.

المبحث الرابع: الفلسفة البرغماتية وأبرز أفكارها العملية تتضمن أفكار "بيرس" و"جيمس" المؤسسي الأوائل للبرغماتية بالإضافة الى جون ديوي.

الفصل الثاني الموسوم بـ جون ديوي الإنسان والمفكر "ويشتمل على ثلاثة مباحث: المبحث الأول: حياة جون ديوي ومؤلفاته أما المبحث الثاني تحت عنوان مرجعيات فكرة أي النظريات العلمية والفلسفية التي استقى منها أفكاره والمبحث الثالث تحت عنوان فلسفة جون ديوي قدمنا نظرياته في أ- الخبرة ب- التربية وسيلة التغيير الاجتماعية ج- الديمقراطية د-الفن وعلاقته بالفلسفة والعلم.

الفصل الثالث: الأخلاق عند جون ديوي قدمنا فيه أربعة مباحث: المبحث الأول المعنون بـ ماهية الأخلاق ومراحل وتطورها والمبحث الثاني: تحت عنوان أصل القيمة الأخلاقية وموقف ديوي منها التي تتضمن أبرز التصورات الفلسفية حول القيمة الأخلاقية والوقوف على موقف ديوي النقدي منها أما المبحث الثالث تحت عنوان: إخضاع الظاهرة الأخلاقية للمنهج العلمي حيث اتجه جون ديوي الى جعل العمليات الأخلاقية محل التجريب، أما المبحث الرابع المسمى بـ: المنظور الجديد للأخلاق الذي تضمن إعادة بناء المفاهيم الأخلاقية من منظور جديد.

أما عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، فمن الأسباب الذاتية: اهتمامنا بالأخلاق كمبحث فلسفي جدير بالبحث وخاصة عند "جون ديوي" فقد ربطها بالواقع والبيئة المحيطة، فأفكاره أقرب الى واقعنا الحالي، كذلك رغبتنا في الكشف عن فكر هذا الفيلسوف بمختلف جوانبه. ومن الأسباب الموضوعية التي جعلتنا نختار هذا الموضوع هي محاولة التعرف على آراء الفيلسوف الأمريكي جون ديوي.

وعليه، فإذا كان الفلاسفة والمفكرين قد اختلفوا في تحديد طبيعة الأخلاق، فكيف نظر جون ديوي إليها؟ أو بعبارة أخرى: هل استطاع الاتجاه البراغماتي بزعامة جون ديوي تجاوز الفلسفات التقليدية والتأسيس لمنظور جديد في فلسفة الأخلاق؟

كما اعتمدنا في بحثنا على جملة من المناهج أهمها المنهج التحليلي النقدي الذي قمنا من خلاله بتحليل أهم نصوص جون ديوي وعدم الاكتفاء بعرضها فقط، كما اعتمدنا على المنهج التاريخي من أجل التعريج على تاريخ الأخلاق والفلسفة البراغماتية عبر العصور، بالإضافة إلى المنهج المقارن الذي لجأنا إليه في بعض المحطات من هذه الدراسة.

لقد عنيت العديد من الدراسات في الفكر الأخلاقي عند جون ديوي و في مقدمتها: رسالة ماجيستير للدكتور محمد جديدي: فلسفة الخبرة جون ديوي " نموذجا".

و من أهم المصادر التي إعتمدنا عليها في هذه الدراسة: جون ديوي، الطبيعة البشرية و السلوك الانساني، ترجمة محمد لبيب النجيحي، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، نيويورك ، 1963- جون ديوي إعادة البناء في الفلسفة، ترجمة و تقديم محمد الأنصاري، مراجعة حسن حنفي، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، ط 1 ، 2010.

أما أهم المراجع تتمثل في: فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1993- على عبد الهادي المرهج: الفلسفة البراغماتية، أصولها ومبادئها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 2008.

و من الصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجاز هذه المذكرة: ندرة المراجع المتعلقة بموضوع فلسفة الأخلاق عند جون ديوي.

أما فيما يتعلق بالهدف من دراسة هذا الموضوع يمكن حصره فيما يلي: توجيه الاهتمام بالفلسفة الأخلاقية لجون ديوي التي جاءت بشكل مختلف عن النظريات الفلسفية السابقة عليها نظرا لطابعها الواقعي والعلمي.

الفصل الأول
تطور التاريخي للأخلاق وظهور البراغماتية الأمريكية

مدخل مفاهيمي

أ- مفهوم الأخلاق.

ب- مفهوم البراغماتية.

الفصل الأول: التطور التاريخي للأخلاق وظهور البراغماتية الأمريكية

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن تطور الأخلاق

1. في الفكر الشرقي القديم:

أ- الحضارة الصينية "كونفوشيوسي أنموذجا"

ب- الحضارة الهندية

2.في الفلسفة اليونانية:

أ- أفلاطون "أنموذجا"

ب- أرسطو "أنموذجا"

3.في العصور الوسطى:

أ- في الفلسفة المسيحية: القديس أوغسطين "أنموذجا"

ب- في الفلسفة الإسلامية: ابن مسكويه "أنموذجا"

4.في العصر الحديث:

أ- توماس هوبز "أنموذجا"

ب- دافيدهيوم "أنموذجا"

5.في الفلسفة المعاصرة:

أ- برتراند راسل "أنموذجا"

ب-جون راولز "أنموذجا"

المبحث الثاني: الجذور التاريخية لظهور البرغماتية

1- الجذور الفلسفية:

أ- السفسطائية

ب- الأبيقورية

2. في العصور الوسطى:

أ- القديس أوغسطين "أنموذجا".

3.في العصر الحديث:

أ-المدرسة التجريبية: جون لوك

ب-المدرسة النفعية: جيرمي بنتام

2- **الجذر** العلمي:

المبحث الثالث: حركة التنوير في المجتمع الأمريكي

المبحث **الرابع: البرغماتية الأمريكية و أبرز أفكارها العملية.**

تمهيد:

نالت الأخلاق اهتماما واضحا منذ العصر القديم لما لها من أهمية بالنسبة للإنسان وعلاقته بغيره، ولقد تطورت كمفهوم فلسفي عبر مختلف العصور بدءا بالفكر الشرقي القديم إلى عصرنا هذا الذي أتى بالجديد والثورة على كل ما هو تقليدي، ومن بين هذه المذاهب والتيارات نجد: "البرغماتية" التي ظهرت وأزاحت كل ما هو كلاسيكي في الفكر الأخلاقي، هذه الفلسفة بالتأكيد لها جذور تاريخية ساهمت في بروزها في عصرنا المعاصر، من كل هذا نحاول أن نجيب عن الأسئلة التالية: كيف تطور مفهوم الأخلاق عبر مختلف العصور؟ وما هي أهم الإرهاصات التي ساهمت في تطور الفلسفة البرغماتية وبروزها كتيار معاصر؟ وما هي أهم الأفكار التي جاءت بها؟

مدخل مفاهيمي:

أ- مفهوم الأخلاق:

- **:**"علم الأخلاق علم يوضح الخير والشر ويبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضا"[1].

الأخلاق:Ethics لغة :"تعبر عنها في اللغات الأوروبية الكلمتان **Ethic** و**Morals** **وتشتقان من**Ethica **و** **mores**اللاتينيتين وكلاهما ينحدر من أصول يونانية ونعبر عن الأولى في العربية بالأخلاق جمع خُلق وقد نُعبر عن الثانية بالآداب ومُفْردها أَدَبْ.والأخلاق هي علم قواعد السلوك،وكان تقسيم البعض للأخلاق إلى نظرية وعملية،والأولى علم معياري،والثانية هي تطبيقاته التي تسمى آداب السلوك"[2].

اصطلاحا:

قال الجرجاني: "الخُلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسْر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإذا كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خُلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي تصدر عنها هي مصدر ذلك خُلقا سيئا"[3].

وأما علم الأخلاق: "فهو علم موضوعه أحكام قيمية تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن والقبح"*[4].

بمعنى أن الأخلاق هي مجموعة من الأفعال والسلوكات الصادرة عن النفس الإنسانية وتنقسم إلى قسمين: القسم الأول: هي الأخلاق الحميدة التي يكون مصدرها الأفعال الحسنة كالصدق والأمانة ومساعدة الناس...، والقسم الثاني: هي الأخلاق السيئة كالكذب، السرقة، وغيرها، وكل هذه الأفعال سواء كانت السيئة منها أو الحسنة يكون الإنسان هو المسؤول عنها لأنها ترجع إلى النفس الإنسانية محكومة ببعض الضوابط منها الدينية والاجتماعية والعرقية.

دعا ديننا الحنيف إلى مكارم الأخلاق، كما ورد ذلك أيضا في سنة نبيه من خلال قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

---

[1]- أحمد أمين: الأخلاق، لجنة التأليف والترجمة والنشر، المطبعة الرحمانية، مصر، ط2 ،1921، ص1

[2]- عبد المنعم الحنفي: الموسوعة الفلسفية ، مكتبة مدبولي، القاهرة، دار ابن زيدون، بيروت، (دط)،دت، ص35

[3]- خالد بن جمعة بن عثمان الخزار: موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط1، 2009 ،ص21

[4]- المرجع نفسه: ص21.

ب-مفهوم البراغماتية:

عرّفها "جميل صليبا" في معجمه على أنها:

لغة: "اسم مشتق من اللفظ اليوناني براغماpragma ومعناه العمل"، فنجدها في اللغة الإنجليزيةpragmatisme،أما الفرنسيةpragmatisme أي البراكيس ومعناه العمل والممارسة"[1].

كما صاغ بيرس هذا اللفظ أو كلمة البراغماتية المشتقة "من اللفظ اليوناني براجما pragma الذي يدل على الفعل والعمل"[2].

اصطلاحا:

وردت البرغماتية في معجم مراد وهبة على أنها "كلمة قديمة مستعملة بمعاني مختلفة،وردت في مقال الفيلسوف تشارلز ساندرزبيرس بعنوان كيف نوضح أفكارنا"*[3]،حيث يذكر القاعدة الآتية لتحقق من دلالة المعاني التي تستخدمها" إن تصورنا لموضوع ما هو تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية لا أكثر"[4] وبالتالي معيار الحقيقة هو العمل.

وجاء في معجم عبد المنعم الحنفي البراغماتية هي فلسفة عملية تجعل من العمل مبدأ مطلقا ويؤرخ لظهور البراغماتية بمحاضرة وليام جيمس المفاهيم الفلسفية والنتائج العملية"[5]، التي تدرس الواقع المعاش لا المجرد.

ونجد في معجم إبراهيم مذكور "التاريخ البراغماتي هو ما يرمي إلى كشف المستقبل في ضوء الحاضر وعنده أيضا الاعتقاد البراغماتي هو التسليم بأمر لضرورة عملية مثل محاولة الطبيب لتشخيص المرض بصفة مبدئية"[6].

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن تطور الأخلاق

تمهيد:

تغيرت النظرة إلى الأخلاق عبر العصور بداية من الفكر الشرقي القديم إلى بالفلسفة اليونانية دون مرورا بفلاسفة العصور الوسطى التي شهدت طغيان النص الديني على الفكر الإنساني، ثم أخذت الأخلاق تظهر بشكل جديد مع فلاسفة العصر الحديث، لتتخذ منحى آخر مع الفلاسفة المعاصرين.

الأخلاق في الفكر الشرقي القديم

لقد شهدت الحضارات الشرقية القديمة ظهور العديد من المفكرين الذين حاولوا فهم طبيعة مجتمعاتهم وتحديد القواعد والأسس التي تسند إليها، فقد انصب اهتمامهم حول السلوك الاجتماعي وسلوك الفرد بصفته كائن اجتماعي، وإن كانت الفلسفة في هذه المرحلة لم ترتقي بعد إلى المستوى المجرد.

الأخلاق في الحضارة الهندية "الأخلاق البوذية".

تعد الهند جزءا مهما من بلاد الشرق، فقد كانت أكثر إبداعا في مجال التفكير الفلسفي، فتميزت بكثرة وتنوع الشعوب والأديان واللغات والطقوس، فظهرت إرهاصات للفكر الفلسفي، الذي تركز على تنظيم

1- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1،بيروت، لبنان، دط،1982 ، ص203

2- فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي،دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1993 ص97

3- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2007،5، ص137

4- المرجع نفسه ص138

5- عبد المنعم الحنفي: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000، ص150

6- إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط ،1983،ص32

علاقات الأفراد ببعضهم البعض، وبذلك ظهرت العقيدة البوذية التي أسسها بوذا* والتي تقوم على فكرة أخلاقية في مذهبه تنحصر في الخلاص من الألم عن طريق التحرر من الشهوات وسلك الطريق الـأوسط الذي" يرتكز على مبادئ ثمانية هي سلامة الرأي، سلامة النية، سلامة القول، سلامة الفعل، سلامة العيش، سلامة الجسد، سلامة الجهد، سلامة الوعي وسلامة التركيز،والهدف منها هو تحقيق حياة مستقيمة، ويقوم السلوك الأخلاقي في رأي بوذا على أساس الحب والحنان وبالتالي فالانضباط والحكمة والسلوك الأخلاقي هي حقائق للحياة الخيرة"[1]

إن الإنسان الحكيم هو الإنسان الخيّر وخيريته تقتضي انضباطه، فيتجه نحو سلامة السلوك ويتجنب أشكال العنف ضد الاخرين، ويبتعد عن السرقة والغش، فالإنسان يتجه بحكمته ليكشف عن نفسه فيتخلى عن أنانيته، ويعمل على قهر معاناته لأنه بعد الكشف عن أسبابها يبلغ أعلى درجات الحكمة، وبالتالي تحدث الاستنارة العقلية كوسيلة لتحقيق السعادة، فعندما نسلك تعاليم الطريق الأوسط التي قام بها بوذا سنحقق السعادة فيفضي البصيرة ويحقق الاستنارة وبالتالي نصل إلى النرفانا، "كذلك فقد اتجه المؤرخون الى تقسيم الحياة الأخلاقية كما تصوروها الى ثلاثة مراحل هي الاستقامة، التأمل والحكمة"[2].

لذلك فقد اهتم بوذا بالجانب الاخلاقي من خلال اهتمام بالسلوك الانساني و ماهية الذات الانسانية" فأصل المعاناة هي الرغبة الملحة أو الشهوة .... لذلك اعتبر أن هناك قانون طبيعي يحكم الطبيعة البشرية كما يحكم الكون فبمعرفته و الانسجام معه يتحقق السلام الداخلي، الطمأنينة ، الأتراكسيا، كما تسميها الرواقية أما الفوضى فتولد الاضطراب"[3]لذلك فالغاية من السلوك الاخلاقي هو التحكم في الرغبات و الشهوات الانسانية، لأن الانسان الذي ينساق نحو غرائزه و يسعى باستمرار لتحقيق اللذات من شأنه أن يولد الآلام و المعاناة، لذلك لابد من تطهير النفس و فهمها فالسلوك الأخلاقي القويم يقوم على انضباط النفس و الحكمة التي توجه الإنسان للفهم الصحيح للأشياء من منظور عقلي " فالحكمة وحدها هي التي تكشف عن طبيعة الأشياء و اسباب المعاناة و كيفية قهرها و إخمادها بتجاوز كل أنواع الرغبات و الأنانية و هذا بغرس حب شامل في عمق الفرد"[4] فنصل الى الخير و الكمال الاخلاقي بالتخلي عن الرغبات و اللذات عن طريق تطهير النفس لبلوغ الحكمة و الاستنارة حتى نصل الى السعادة القصوى أو النرفانا فتتكشف لنا أسباب المعاناة و نزيلها بتطهير شامل للنفس و غرس الحب في النفس الانسانية و تجاوز الألم.

أ- الأخلاق في الحضارة الصينية "كونفشيوس أنموذجا"kungfutseu

تعد الحضارة الصينية من أعرق وأهم الحضارات الشرقية القديمة، فقد كان بين ثنايا هذه الحضارة فكر فلسفي ينطوي على عقلية صينية تميزت بنزعتها الواقعية، فقد اهتم الصينيون بالحياة الواقعية وعملوا على تسخير المبادئ الأخلاقية كوسيلة لتنظيم الحياة الاجتماعية ومن بين أبرز المفكرين الصينيين نجد الحكيم كونفشيوس* الذي أنشأ نظاما أخلاقيا جديدا فاتجه الى إصلاح حال المجتمع .

---

* بوذا: عاش بوذا في القرن 6 ق.م من حوالي (560-480ق.م) أطلق عليه اسم بوذا Banddah وتعني الملهم أو العارف بالحقائق أو صاحب الإشراق، أسس عقيدة البوذية التي تفطن قبائل السيكاssuky، عاش حياة الزهد والترف، أنظر إلى: عبد الوهاب جعفر، فلسفة الأخلاق والقيم، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، 2013، ص 65.64

[1]- جمال المرزوقي: الفكر الشرقي وبدايات التأمل الفلسفي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1،2001، ص 16-17

[2]- عبد الوهاب جعفر ، فلسفة الاخلاق، ص 27

[3]- بلحنافي جوهر: الأخلاق و السياسة بين الرواقية و الفكر الإسلامي أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة وهران 2014-2015 ص 34

[4]- المرجع السابق: ص 35.

* اسمه كونغ فوتسيهKong.fu.tsue وتعني كونغ المعلم ولد سنة 551 ق.م نشوفو وهو حكيم الصين العظيم وفيلسوف واقعي براعته إنسانية، مؤسس الكونفوشية (محمد عبد الرحمان مرحبا)، الموجز في تاريخ الأخلاق، بروس، برس، طرابلس، لبنان، دط ، 1988، ص255

أكد كونفشيوس على "مبدأ الجين" بمعنى الفضيلة الإنسانية الإحسان والخير الأسمى، الرجولة الحقة أي الضابط الأخلاقي فهذا الجين ما يجعلنا إنسانيين فهو متعلق بالتفكير وهو جدير بأن يضحي الإنسان من أجله[1] هذا الجين موجود في الطبيعة الإنسانية مما يجعل الإنسان يسيطر على نفسه وبالتالي يضبط سلوكه كفرد يعيش وسط الجماعة.

كما هيمنت فكرة الواجب على تعاليم كونفشيوس الأخلاقية، احتلت المقام الأول فهي شيء مقدس وعظيم "فالإرادة الإنسانية الطيبة تتحقق بالواجب وكل الأعمال تتحقق من هذا القانون الأخلاقي أي القيام بالواجب فلا لتحقق منفعة ولا لدفع مضرة"[2]

فأي عمل يقوم به الإنسان دون مراعاة الواجب الأخلاقي لذاته فالسعي نحو الشهوات والملذات من اجل كسب الثروة سيفقده قيمته الأخلاقية، ولا يكون جديرا بأن نصفه عملا فاضلا، لكن عندما يقوم الانسان بالواجب لأجل الواجب ومن اجل غايات ينفع بها نفسه وغيره، هنا ستبعث في نفسه السعادة ويحقق ذاته بعيدا عن المصالح والمنافع ويتخلص الإنسان من أنانيته ليتجه نحو صلاح المجتمع.

وبالتالي كونفشيوس قد قدم نظاما أخلاقيا متماسكا يستند إلى قوانين أخلاقية تبدأ من صلاح الأسرة لتصل إلى صلاح المجتمع كما تهدف إلى تحقيق السعادة والسلام في الأرض.

"و في رأي كونفشيوس أن السيطرة على النفس تقهر الأنانية و تغرس الخواص الداخلية للانسانية التي تشمل الإخلاص و الاستقامة الشخصية "[3] فالسيطرة على النفس تعود بالنفع على المجتمع نظرا لما ساد العصر الذي عاش فيه كونفشيوس الذي شهد تدني السلوك الأخلاقي و التفكك و السياسي لذلك اتجه إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية لذلك نشهد الجانب العملي في فلسفته الأخلاقية الإنسانية.

فإن المجتمع لا يتأسس إلا على الأخلاق الخيرة فالأخلاق أساس المجتمع لذلك جمع كونفشيوس بين الجانب الأخلاقي و السياسي .

أكد كونفشيوس على دور العائلة في تكوين وتشكيل الفضائل الأخلاقية للطفل، فالعائلة تشكل البيئة الاجتماعية للطفل فإن التوقير للوالدين ينبغي إظهاره من خلال حسن السلوك في الحياة لذلك لابد من أن يتجه الطفل نحو السلوك الصحيح حتى يشرف والديه و يتجنب الأفعال السيئة و هذا ما يسميه بالولاء كفضيلة أخلاقية تؤثر في أفعاله في كنف الجماعة لتجاوز الوسط العائلي نحو آفاق اجتماعية " فباحترام الآباء و توقيرهم فإن بمقدورهم أن يحبوا إخوتهم و عندما يحققون ذلك ، فإن بإمكانهم أن يحبوا الإنسانية بأسرها"[4] و بالتالي التأسيس لأخلاق فاضلة و مجتمع مبني على أسس تربوية متينة يسوده التكافل الإنساني و السلوك الخيّر الصالح.

1- الأخلاق في الفلسفة اليونانية:

تتميز الأخلاق اليونانية بأنها أخلاق سعادة لا أخلاق واجب، فالخير والسعادة هما بوجه عام شيء واحد، أي أن الأخلاق اليونانية بنيت على أساس الوصول إلى السعادة.

---

[1]- جمال المرزوقي: الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2001، ص ص250، 251

[2]- محمد عبد الرحمان مرحبا، المؤرخ في تاريخ الاخلاق: ص271- 272

[3]- المرجع السابق:، ص 250.

[4]- جمال المرزوقي، الفكر الشرقي القديم و بدايات التأمل الفلسفي :ص، 251

أ- أفلاطون platon" أنموذجا" (427 ق م،347)

اهتم أفلاطون بالأخلاق، عمل في البداية على نقد السوفسطائيين في القول بأهمية اللذة المادية، وفي المقابل أكد على الواجب الأخلاقي والقانون الأخلاقي وكتب محاوراته دفاعا عن العقل.
ميز أفلاطون في الأخلاق بين اللذة والألم من جهة، والفضيلة والرذيلة من جهة أخرى، وعلى هذا الأساس قسم الفضيلة الخلقية إلى ثلاث فضائل: الحكمة فضيلة العقل، والعفة فضيلة القوة الشهوانية تهدئ النفس ويتوسطها فضيلة القوة الغضبية تساعد العقل على مقاومة إغراء اللذة ومخافة الألم"[1]،والحكمة هي أسمى الفضائل لأن فضيلتها هو العقل، وبالتالي عندما تتحد هاته الفضائل في النفس وتترتب، تتحقق فضيلة أخرى هي العدالة وهي الفضيلة الأسمى.
كما تضمنت محاورة جورجياس أهم المشكلات الأخلاقية التي تناولها أفلاطون، حيث أكد أفلاطون أن السعادة الإنسانية تتحقق بالتمسك بالفضيلة أما من اتبع أهوائه وانساق وراء إشباع شهواته فإنه شقي في حياته، كما يفرق أفلاطون بين لذات نافعة هدفها تحقيق الخير أي السعادة التي تحتكم إلى العقل، ولذات أخرى لا توصل إلى الخير"[2] فهناك لذّات حسية مادية تتعلق بالشهوات والرغبات مقرها الجسد، ولذات عقلية هي لذات حقيقية خالصة من كل ألم، وعلى الإنسان أن يتطهر حتى يسمو إلى إدراك الخير في ذاته ويصل الى السعادة القصوى. سيطرة العقل على النفس تجعل الإنسان يتذوق العالم المعقول ويرتقي نحو السمو والتعالي عما هو محسوس، فيتأمل عالم المثل حتى يحتكم إلى الفضيلة ويصل إلى السعادة وهي غاية الحكيم الفيلسوف.

ب- الأخلاق عند أرسطو:Aristote (384،322ق م)

يمكن القول بأن الفيلسوف اليوناني أرسطو من أبرز الفلاسفة الذين اهتموا بمسألة الأخلاق ، حيث لم يختلف كثيرا عن أستاذه أفلاطون في جعل السعادة هي الخير الأسمى، فالإنسان دائم البحث بغية الوصول إلى السعادة "فتحصيل السعادة يكون بمدى توافق الفعل مع طبيعة الأشياء وينظر إلى اللذة كأنها الخير الأسمى، والوصول إلى الفضيلة يكون بتحقيق الإنسان الكمال الممكن بالنسبة إليه، وهي وسطا بين الإفراط والتفريط فمثلا فضيلة الشجاعة هي وسطا بين إفراط هو التهور وتفريط هو الجبن"[3].
أي أن أرسطو جعل مكانة الفضيلة قائمة في الوسط بين الإفراط والتفريط أو الاعتدال في تحقيق اللذة، وذلك لأجل الوصول إلى السعادة التي تعد الهدف الذي يحاول الإنسان تحقيقه وهذا هو جوهر الأخلاق الأرسطية.
"وينتهي إلى تعريف الفضيلة بأنها خُلق مكتسب لاختيار الوسط المحدد بالنسبة لنا الذي يحدده العقل"[4]
"فإنه فيما يتعلق بعلم الأخلاق لا يحفل بالعلم المجرد بقواعده بل يرى أنه لا فائدة من العلم بما هي الفضيلة علما نظريا دون رياضة النفس على حيازتها واستعمالها وما الفضيلة عنده إلا استعدادا طبيعي نمته العادة وطبعته خلقا يلازم الفاضل فلا يتعدى حدوده في نياته وأقواله وأفعاله "[5].

---

[1]- المرجع السابق :ص115
[2]- أميرة حلمي مطر:الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها،دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، ص206-207
[3]- عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (ط1)، 1984، ص ص123-122
[4]- المرجع السابق : ص 320-321
[5]- أرسطو طاليس: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، دار الكتب المصرية، القاهرة، (دط)، 1924،ص35

يرى الفيلسوف اليوناني أرسطو أن الأخلاق منفصلة عن العلم وقواعده،لأن الأخلاق الفاضلة تكون نابعة من النفس الإنسانية التي تروض نفسها على تطبيق تلك المبادئ بهدف الوصول إلى الفضيلة الأخلاقية والاعتدال فيها.

"والفضائل الأخلاقية لا تسمى فضائل أخلاقية إلا إذا كانت عادات مستمرة"[1].

ربط أرسطو السعادة الإنسانية بمفهوم الكمال او الخير الأسمى، السعادة هي الفضيلة و هي الحكمة " فهناك فضائل دنيا و فضائل عليا و للفضائل الدنيا طابع غرضي اما الفضائل العليا فطابعها نزيه"[2].

فالفضائل الدنيوية ترتبط بالعالم الخارجي أو المادي تسعى للغاية او غرض تحققه فهي زائلة أما العليا فتشمل فضيلة الحكمة و هي أسمى الفضائل الخلقية الغير قابلة للزوال .

وبذلك خلص ارسطو الى القول بثلاثة أنواع من الخير: "خير خاص بالنفوس، خير خاص بالأجسام وخير خارجي، أما النوع الأول فإنه أساسي جوهري، وما عداه تابع له"، ومع ذلك فإنه يجب أن لا تقلل من أهمية الخير التابع"[3]

"السعادة عند أرسطو هي أن يكون الإنسان رجلا بمعنى الكلمة وأن يكون مستنيرا، معتادا التفكير والبحث وإن أساسه أولا وأخيرا هو الأخلاقية"[4].

وبذلك فإن تصور الإنسان العادي للسعادة ليس معيارا لها "لقد حرص أرسطو أن يبدأ من رصد ما هو شائع من صور السلوك الإنساني الذي يحقق السعادة من وجهة نظر الإنسان العادي إلى معرفة نقائص هذا السلوك وضرورة التحول من هذا السلوكيات إلى السلوك الأمثل الذي يحقق الخير الأقصى للإنسان بما هو إنسان"[5].

لذا يعتبر أرسطو هو المؤسس الفعلي لفلسفة الأخلاق التي ارتبطت بمذهبه الواقعي، حيث يجعل من الخير الخاص بالنفس الإنسانية هو الخير الأساسي والجوهري، ويمكن القول بأن فلسفة أرسطو الأخلاقية تدرس السلوكات الإنسانية ثم تعمل على تقويمها وهذا ما يحقق السعادة والرضا للإنسان والمجتمع.

2- الأخلاق في العصور الوسطى:

ارتبطت الأخلاق في العصور الوسطى بالوحي الإلهي سواء في العالم المسيحي أو العالم الإسلام، فمعيار السلوك الصحيح والخاطئ هو النص الديني، أي أن الله هو المشرع للقيم الأخلاقية وما على الإنسان إلا الامتثال لها.

الأخلاق المسيحية:

رأى العديد من المفكرين أن الأخلاق في هذه الفترة لازالت لم تتخلص بعد من الإرث اليوناني والروماني، خاصة الموروث الفلسفي للفلاسفة اليونانيين وأهمهم سقراط أرسطو وأفلاطون الذين لم تستطع فلسفة العصور الوسطى التحرر من تأثيرهم القوي على الفكر الإنساني حيث "إن الحديث عن الأخلاق المسيحية هو حديث عن فلسفة نشأت مزيجا بين الفكر اليوناني والروماني، وكان الوحي الإلهي المصدر الأول للسلطة الأخلاقية، وهذا هو التغيير الذي أدخلته هذه الفترة في مجال الأخلاق، حيث أقيمت

---

[1]- أندريه كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، دار الشعب، القاهرة، دط ،1979 ، ص100

[2]- مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق ، مكتبة مدبولى، القاهرة ، طبعة 2/ 1999 ص 55.

[3]- المرجع نفسه،ص101

[4]- المرجع نفسه،ص102

[5]- مصطفى النشار: فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، دار الثقافة العربية، القاهرة، دط ،2006 ،ص218

الأخلاق على أساس الوجدان لا العقل، و ترى بأن الله هو الذي يحدد الفضيلة ويميز بين الخير والشر"[1].

أ-القديس اوغسطين*: Augustin "نموذجا"(354.ق م،430)

اهتم القديس أوغسطين اهتماما بالغا بمسألة الأخلاق في عصره، وشأنه شأن أغلب فلاسفة العصر الوسيط، فإنه رد مصدر القيم الاخلاقية إلى الله، وسمى القانون الأخلاقي بالقانون الإلاهي، ولأن هذه القوانين الأخلاقية يضعها الله بالأمر والنهي والإنسان مجرد منفذ لها، فقد ربط المشكلة الأخلاقية بالدين المسيحي، لذلك نجد أسمى الفضائل بالنسبة إليه هي فضيلة حب الله " إن الله هو مصدر الأخلاق حسب أوغسطين والحياة السعيدة هي النعيم في الله، فالخير هو السير على مقتضى الإلاهي والشر هو مخالفة هذا القانون والمعرفة وحب الله هما الغاية الأخلاقية حسب أوغسطين"[2]

"القانون الأخلاقي يرتبط بالقانون الإلاهي الذي ينبغي أن يتعالى على الزمان والمكان، أن يكون قانونا عالميا ينبغي أن يخاطب القلب المحب الممتلئ بالمحبة الإلاهية والاشتياق إلى معانقة الرب"[3]

بمعنى أن الأخلاق الصحيحة المطلقة يجب أن ترتبط بالله الذي يكون منزّها عن الخطأ، ومصدرا للأخلاق الفاضلة التي تكون عالمية كلية مطلقة وثابتة، وتكون مخاطبة للقلب الذي يحب الإله ويريد الامتثال لأوامره ونيل رضاه.

لقد ربط أوغسطين الأخلاق بالديانة المسيحية لأنه رأى بأن هذا الدين جدير بأن يكون مطلقا و ثابتا في وضع الأحكام الأخلاقية عن طريق الإله، فأخلاق أوغسطين هي أخلاق مبنية على أساس ديني، بحيث يكون التدين و الامتثال للأوامر الإلهية و حب الله هما الفضيلة الأسمى، فالإله هو المشرع للأحكام و القوانين الأخلاقية لأنه لا يخطئ و يكون عالما و ذو دراية بمصلحة عبده حسب القديس أوغسطين ".... كانت الأخلاق الأوغسطينية في طابعها العام، أخلاق مسيحية قائمة على ذلك الوصال الروحي بين العبد و خالقه ، لأن القانون الأخلاقي عنده يعتمد أساسا على القانون الإلاهي، و لأن النفس الإنسانية ترغب في الله فتنزع نحوه " [4]

في الإسلام:

لقد تميزت الأخلاق في العالم الإسلام بالاحتكام إلى النص الديني أي القرآن الكريم، إضافة إلى سنة رسوله (صلى الله عليه و سلم)، ومن أبرز فلاسفة الإسلام الذين اهتموا بمشكلة الأخلاق نجد:

*أوغسطين: ولد أوغسطين في طاجسطا في منتصف القرن الرابع الميلادي بالجزائر، كان أبوه رجلا وثنيا، وأمه قديسة مسيحية، وكان أوغسطين محبا للفلسفة والتأمل تواقا إلى المعرفة الحقيقة والطريق الموصل إلى الحياة السعيدة وأصبح من أساطيل المذهب الكاثوليكي

مؤلفاته: الأسس العقلية للإيمان، أخلاق الكنيسة الكاثوليكية، الاعترافات كتاب مدينة الله أنظر الى: الشيخ كامل محمد محمدعويضة،أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى،دار الكتاب العلمية،بيروت،لبنان،(ط1)،1998 ص ص29-34

[1]- محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية،دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ،(دط)، 1998،ص119-121

[2]- عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1962ص ص35-36

[3]- المرجع السابق :ص69

[4]- كحول سعودي: الحدس الصوفي و نظرية الأخلاق عند القديس أوغسطين، مجلة مفاهيم الدراسات الفلسفية و الانسانية المعمقة ، مجلد 03/عدد/20 جامعة زيان عاشور، الجلفة،بتاريخ: 2020/09/23.

- ابن مسكويه " نموذجا" (421-1030)م

نجد بأن ابن مسكويه جعل السعادة الأخلاقية مرتبطة بعيش الإنسان داخل المجتمع وليس بعزلته عن الغير، إضافة إلى ضرورة اعتماد الإنسان على الشريعة الإسلامية في تكوين شخصيته بما فيها الجانب الأخلاقي، وإذا ما تحقق هذان الشرطان وصل الإنسان إلى سعادته "ضرورة أن يعيش الإنسان في المجتمع الذي يوجد فيه متعاونا مع أفراده بدون أن يُؤْثِرَ العزلة عنهم لأنه مناف لطبيعته ولا يقوده إلى السعادة ،والأمر الآخر هو ضرورة أن يستعين الإنسان بالشريعة في إعداد النفس خاصة في فترة الطفولة، فإذا ما تم للإنسان كل هذا، فحصل جزئي الحكمة النظري والعملي، فهو السعيد الكامل والحكيم الفاضل"[1]

إن وجود الفرد مع غيره هو ما يظهر قيمة سلوكاته ويصبح في مقدوره تصويبها "يريد ابن مسكوية تأسيس فلسفة الأخلاق على النفس وقواها وملكاتها والحصول على الخُلق الجميل وذلك في كتابه: "تهذيب الأخلاق حيث يقول فيه بأن الفضائل أفعال وهذه الأفعال تظهر عند مشاركة الناس والتعامل معهم كما أن الفضائل يتعلمها الناس من خلال المخالطة ليصلوا إلى السعادة"[2]

وليس للإنسان مشرع آخر دون الله والرجوع إلى كتابه الكريم لأن "الشريعة هي التي تعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ إلى السعادة بالفكر الصحيح والقياس المستقيم"[3]

أي أن مسكويه يجعل من الشريعة ترويضا للنفوس وتقريبها للمولى عز وجل للوصول إلى الفضائل المثلى ومن ثمة تحقيق السعادة، لأن القرب من الله هو قرب من السعادة.

4- الأخلاق في العصر الحديث:

لقد ارتبط العصر الحديث ارتباطا وثيقا بظهور حركة التنوير التي جاءت لتنوير العقول والرد على السيطرة والانغلاق الذي كان سائدا في العصور الوسطى خاصة من قبل الكنيسة ورجال الدين، الذين قيدوا الفكر ومنعوه من التحرر، حمل لواء التنوير العديد من الفلاسفة الذين بشروا بهذا العصر بتأكيدهم على حرية التفكير، والاعتماد على العقل بكل حرية في جميع المواضيع، وأنه لا سلطة على العقل إلا العقل. ولم يكن موضوع الأخلاق بمنأى عن هذه الحركة التنويرية بل كان في صميمها.

من أبرز الفلاسفة الذين اهتموا بفلسفة الأخلاق في العصر الحديث نجد:

أ- توماس هوبز:" نموذجا" Thomas Hobbes(1577-1679)

في الواقع، لا يمكن الولوج إلى مسألة الأخلاق عند هوبز دون الرجوع إلى مفهومه للطبيعة البشرية، فقد بنى كل تصوراته الفلسفية على هذه القاعدة "تتناول الفلسفة الأخلاقية عند "هوبز" دراسة حركات العقل(الاشتهاء، النفور، الحب، الرغبة، الغضب، الأمل..) كما يمثل مفهومي الاشتهاء (الرغبة) والنفور دورا هاما في نظرية هوبز الأخلاقية حيث يشكلان المعيار الذي تتحدد به الأحكام والتقويمات الأخلاقية"[4].

ليس هناك مبدأ أخلاقي مطلق ينبغي الاحتكام إليه، وليس هناك مصدر أسمى يشرّع ما هو شر وما هو "فالخير والشر يتحدد استنادا إلى الشخص ومشاعره فليس هناك قاعدة مطلقة. بل هي تُستمد من ذات

[1]- عبد الحي محمد قابيل: المذاهب الأخلاقية في الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، 1984،ص283-284
[2]- ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكوية، دار دجلة، عمان،دط، 2012، ص25-26
[3]- ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، دار الكتب العلمية، (بيروت،لبنان)، دط،1985،ص29
[4]- نبيل عبد الحميد عبد الجبار: توماس هوبز ومذهبه في الأخلاق السياسية، داردجلة، العراق، (دط)،2007،ص110-112

الإنسان حسب "هوبز" والسعادة تقوم في نجاح الإنسان بإحراز الأشياء التي يرغب بها ووسيلته في ذلك هي القوة والهدف من كل ذلك هو نيل الأسبقية والتفوق على الآخرين"[1].

لقد إتجه توماس هوبز إلى القول بالسعادة الشخصية، فالإنسان بطبعه يميل إلى حبه لذاته و يسعى دائما إلى إسعادها، فالغايات والأعمال التي يقوم بها أساسها حب الذات.

" فليس يعمل عملا إلا من أجل نفسه و ليس حبه جاره أو صديقه إلا ضربا خفيا من ضروب حب النفس ، نعم إنه قد يعمل الخير لغيره ، ولكن الباعث الحقيقي له على عمله هو حبه نفسه و طلبه اللذة لها أو دفع الألم عنها "[2] فما هو الا تحقيق لمنافع فردية.

ب-دافيد هيوم:" نموذجا" David Hume(1911-1776)

بالنسبة إلى ديفيد هيوم،لا يمكن الفصل بين نظريته في المعرفة ونظريته في الأخلاق، فهو يرد مصدر الأخلاق إلى الحاسة الخُلقية، فالخير والشر يحدده الإنسان انطلاقا من الانطباعات الحسية التي تبُث فيه الرضا والشعور باللذة لذلك الشيء، ويُرجع العمل الخُلقي إلى العاطفة التي تعتبر مصدر أساسي للتشريع الأخلاقي،كما ألغى دور العقل تماما في تأسيسه للأخلاق،فهو في نظره غير قادر على التمييز بين الخير والشر، بل هي الانطباعات الحسية التي تقوم بذلك "إن نظرية "هيوم" الأخلاقية مرتبطة بنظريته في المعرفة حيث يلتمس في الطبيعة البشرية أساسا للأخلاق، وإن الإحساس بالفضيلة ليس سوى الشعور برضا من نوع معين من تأمل سلوك معين وهذا الإحساس يُؤلف ما نبديه من ثناء أو إعجاب، أي أن الفضيلة تميز عن طريق اللذة والرذيلة عن طريق الألم"[3].

تظهر الفضيلة عندما يشعر الإنسان بالرضا واللذة التي يحققها ذلك الفعل، أي أن اللذة هي مصدر الفضيلة والألم مصدر الرذيلة "وإن الخير والشر هما لونان من الانطباعات الحسية التي تطبع فيها حاسة مستقلة بذاتها عن سائر الحواس هي الحاسة الخلقية ندرك بها ما هو خير وما هو شر، كما ندرك الألوان بالعين"[4] لقد جعل "دافيد هيوم" الحاسة الخُلقية هي التي نحدد بها الفعل الخير والفعل الشرير، حيث جعل هذه الحاسة مصدر تمييز القيم الأخلاقية كتمييزنا للألوان مثلا عن طريق العين، بالإضافة إلى اعتبار أن الشيء الذي يجعل الإنسان يقوم بالعمل الخُلقي هي العواطف التي أقام لها مكانة عظيمة للتشريع والرغبة في الوصول إلى الأخلاق الفاضلة.

فالعاطفة هي المصدر الحقيقي للأخلاق لا العقل في نظر "دافيد هيوم"، حيث تستعين هذه العواطف بالعقل في تحليل وتوضيح بعض الانطباعات والأفكار، وتبقى العواطف هي التي تتحكم في أساس الأخلاق فتحدد ما إذا كان ذلك الفعل أخلاقي يحقق اللذة فيذهب إليه الإنسان ويأخذ به، أما إذا كان السلوك يجلب الألم ينفُر منه. فالعاطفة الخُلقية هي أساس التشريع الأخلاقي "فالرأي عنده صريح واحد هو أن الحكم الخُلقي قائم على الذوق أو العاطفة على أن يقوم العقل ببيان تفصيلات الموقف لكي يتاح للإنسان أن يميل بعاطفته أو ينفر"[5].

---

[1]- المرجع نفسه: ص 114-115

[2]- أحمد أمين : كتاب الأخلاق، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة دط، 2012 ص 32

[3]- محمد سيد أحمد: الأخلاق عند هيوم، دار الثقافة، القاهرة، دط، 1992، ص46-47

[4]- المرجع نفسه، ص47.

[5]- زكي نجيب محمود: دافيد هيوم، مؤسسةهنداوي، المملكة المتحدة، (دط)،بتاريخ(26-01-1017)،ص114

5-الأخلاق في العصر المعاصر:

تميزت الفلسفة المعاصرة، على خلاف الفلسفة التقليدية بتعدد مدارسها ومذاهبها، فهناك الفلسفة التحليلية والوجودية والفينومينولوجيا، والبرغماتية، والتفكيكية وغيرها، لذلك سنجد النظريات الأخلاقية في هذه المرحلة متعددة ومختلفة، وسنكتفي بذكر الفيلسوف برتراند راسل، والفيلسوف جون راولز كأنموذجين للفلسفة الأخلاقية المعاصرة.

أ- برتراند راسل أنموذجا:Bertrand Russell 1872-1970)

الإنسان بالنسبة إلى راسل يرتبط بجانبين: جانبه الخاص الفردي، وجانب الاجتماعي، فالإنسان كائن واع فيما يقوم به من نشاط في وسطه الاجتماعي، كذلك نظرا لوعيه الأخلاقي يميز بين ما هو صائب وما هو خاطئ، فالأخلاق تبدأ فردية ثم تتطور لتصبح جماعية، فعنصر الفرد أساسي لأن الفرد في أداء واجبه نحو الجماعة يضحي في سبيل أدائه بشكل سليم، لذلك لابد أن يقتنع الناس بما يؤديه من واجب نحو سلوكه ونحو الفرص التي يسعى إلى تحقيقها وبالتالي يحقق كمال حياته الأخلاقية في إطار الجماعة " ثمة عنصرين متميزين في الكائن الإنساني: عنصر الفردية وعنصر الجماعة، فالأخلاق التي لا تتأسس على هذين العنصرين تأتي أخلاق بثراء لا تغني ولا ترضي"[1]

فقد أكد راسل أن القواعد الأخلاقية الخاصة بالجماعة قد وجدنا أنفسنا تنتمي إليها، فبناء على أخلاق الجماعة يتحدد السلوك الأخلاقي، وكذلك تتكون من طاعة المشيئة الإلهية والضمير الفردي "ونظرا إلى هذا الاختلاف بين النظم الأخلاقية لا نستطيع أن نقول أن تصرفات من نوع معين صواب وان أخرى خطا، إلا إذا وجدنا أولا طريقة تحدد أن نظما بذاتها خير من الأخرى"[2]

كما أن الغاية التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها هي "الوصول إلى السعادة حيث يصل إليها الإنسان بمكافحته الخوف وتأكيد الشجاعة عن طريق التربية وبإيصال البشر إلى درجات الكمال في شتى مجالات الحياة"[3].

" تختلف الأخلاق عن العلوم في أن مادتها الأساسية مشاعر و انفعالات و ليست مدركات حسية "[4]، فالأخلاق ترتبط بالمشاعر و الرغبات و بهذا تكون الأخلاق شخصية مرتبطة بالفرد مما يجعلها مدركات حسية فردية.

" كما ان المعتقدات و المشاعر الأخلاقية توجد في جميع المتجمعات الإنسانية المعروفة حتى أكثرها بدائية فبعض التصرفات يبنى عليها و بعضها تقابل باللوم "[5]، و بالتالي فإن هذه الأحكام الأخلاقية أو الأفعال الإنسانية يكافئ عليها الفرد ثوابا أو عقابا بمقدار ما يعود على المجتمع من خير او شر و بالتالي هناك أخلاق اجتماعية أساسها المجتمع و بدونها تزول المجتمعات و الأخلاق الشخصية ترتبط بالذات الإنسانيةو بدونها تجرد المجتمعات من قيمتها لذلك لابد من وجودها كضرورتين لتأسيس عالم اخلاقي.

لأنه من غير المنطق تصور إنسان خالي من الرغبة، لذلك تنبه راسل للبعد الروحي الإنساني كتقدير للأفعال الانسانية وأشاد بالبعد المادي للأحكام الأخلاقية على أرض الواقع أي الوعي الأخلاقي.

---

[1]- كامل محمد عويضة: برتراندراسل، فيلسوف الأخلاق والسياسة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1994،ص23

[2]- برتراند راسل: المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة: عبد الكريم احمد، مراجعة حسن محمود، مكتبة الأنجلومصرية، ص30

[3]- المرجع نفسه: ص80

[4]- المرجع السابق: ص 18.

[5]- كامل محمد محمد عويضة: برتراند راسل: فيلسوف الأخلاق و السياسة، ص 21.

ب- الأخلاق عند جون راولز *:JohnRawls(1921-2002)

لقد تناول الفيلسوف الأمريكي موضوع الأخلاق وربطها بالسياسة مما جعلها عملية من خلال نظريته في العدالة الاجتماعية التي أتت كبديل عن النفعية الفردية فعندما تتحقق تضمن الخير لكل الأفراد إن "مذهب الواجب الرولزي ينتقل من مسألة الخير إلى مسألة السعادة، إذ أنه هناك اتفاق بين مبدأ العدالة والخير فإن المجتمع المنظم جيدا بدءا من العادل ألا يحقق خيرا للجماعة، فإن عدالة الاستعدادات تساهم في خير أعضاء المجتمع وتزداد كلما أخمد الميل إلى الضغينة والحسد"[1].

تتحقق السعادة الإنسانية في إطار العدالة الاجتماعية حيث تتيح لكل إنسان أن يحسن التصرف في مشاريعه في إطار هذه الجماعات، وبالتالي ستزول الفوارق الطبقية، كما أكد *رولز أن واقعنا يوجد فيه مشكلة الحسد التي لا يمكن إنكارها فهو ذلك الشعور من الحزن والألم الناجم عن رؤية الخير الذي يملكه الآخرون هذا الأخير يعود بالمضرة على المجتمع لكن المجتمع المنظم الذي يقوم على العدالة سيؤدي إلى الزوال التدريجي للحسد الاجتماعي فيعم الخير على الإنسانية.

يتحدث رولز عن "حجاب الجهل" فالبشر في اللحظة التي يقومون فيها بالتفكير في مبادئ العدالة هم بشر مجردون من كل معرفة حول أوضاعهم الخاصة فلولا هذا الحجاب لما خضع اختيار مبادئ العدالة للعقلانية"[2] فإن هذا الحجاب الذي تحدث عنه رولز لا يزول إلا إذا خضع الناس للعدالة الاجتماعية كاختيار عقلاني.

كما "تناول رولز فكرة المعقولية أو القرار العقلاني وفكرة المعقول حيث ترتبط بكفاءة أخلاقية مختلفة إذ أن المعقولية تربط بالقدرة على استعمال حس العدالة أما العقلانية القدرة على بناء تصور معين للخير و رولز يجمع بينهما"[3].

حيث أن كل معقول يحتاج إلى فضاء عمومي يتميز بالعدالة لذلك لابد أن ينخرط المعقول بما هو اجتماعي على اعتبار أنه تلك الأفكار الأخلاقية التي تقتضي أن يعترف بها من طرف الجماعة في إطار نظام ديمقراطي دستوري.

---

*جون رولز:John Rawls من أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، من أهم كتبه كتاب نظرية العدالة، الذي بعث الحياة في الفلسفة السياسية، بالإضافة إلى كتابه عن الليبرالية السياسية عام 1993، سعى فيه إلى أن يأتي بالجديد في تاريخ الفكر الليبرالي، توفي عام 2002، أنظر الى جون رولز، قانون الشعوب وعود إلى فكرة العقل العام، ترجمة: محمد خليل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2007، ص7-10

[1]- جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر،ترجمة عادل العوا، الفكر الأخلاقي المعاصر، دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، دط ،2001، ص101

[2]- المرجع السابق: ص98

[3]- محمد هاشمي: نظرية العدالة عند جون رولز نحو تعاقد اجتماعي مغاير، دار بقال للنشر، المغرب، ط1،2014، ص54

المبحث الثاني: الجذور التاريخية للفلسفة البرغماتية:

إن الفلسفة البرغماتية كاتجاه فلسفي معاصر لم تظهر صدفة، بل تأثرت بمدارس سابقة عليها مثلت الجذور الأولى لهذه الفلسفة، لذلك سنتناول بعض المدارس الفلسفية التي كان لها دور في ظهورها، حيث نبدأ بالفلسفة اليونانية، ثم ننتقل إلى العصور الوسطى، فالفلسفة الحديثة.

1) الجذور الفلسفية:

1-1- الفلسفة اليونانية

أ- السفسطائية:

يمكن القول بأن السفسطائية قد ساهمت إلى حد ما في تكوين جزء من الفلسفة البراغماتية، فقد ركزت اهتمامها على الإنسان وهذا ما نجده في مقولتهم الشهيرة "الإنسان مقياس كل شيء" بروتاغورس*، وهذا ما نلمسه لدى الفلاسفة البراغماتيين الذين جعلوا من الإنسان ومنفعته محور فلسفتهم، رغم الكثير من الاختلافات بينهما، فالسفسطائية ركزت أكثر على المصلحة الفردية دون النظر إلى الوسيلة أي التركيز على النتيجة وهذا ما نلاحظه ايضا في الفلسفة البراغماتية التي تنظر إلى الأشياء كنتائج محسوسة تحقق منافع محسوسة يراها الإنسان "تعد المدرسة السُفسطائية من أولى المدارس التي تأثرت بها المدرسة البرجماتية فالخدمة التي قدمها السفسطائيون للفلسفة هي أنهم وجهوا الأنظار نحو دراسة الإنسان وما كانت البراغماتية بعيدة عن ذلك، فالإنسان هو موضوعها ويتضح الجانب النفعي للسفسطائية في إيثارهم للجانب المادي لعملية التحصيل المعرفي، وكان الفيلسوف البريطاني البراجماتي "تشيلر" تلميذ بروتاغوراس يرى بأن البراغماتية هي تحديد واعي للنسبة النقدية التي ذهب إليها بروتاغوراس في العصر القديم"[1].

---

[1]- على عبد الهادي المرهج: الفلسفة البراغماتية(أصولها ومبادئها)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،،2008، ص ص34-35

*" **بروتاغوراس"« protagoras**:سفسطائي يوناني (نحو 485-411 ق م) كان صاحب مذهب حسي و نسبي، و عارض فكرة الحقيقة المطلقة بتعدد الأراء و وجهات النظر، صاحب القول المشهور: الإنسان مقياس الأشياء- جورج طرابيشي معجم الفلاسفة (الفلاسفة – المناطقة – المتكلمون- اللاهوتيون- المتصوفون) دار الطليعة، بيروت، ط3،2006، ص 170.

ب- الأبيقوريــة* نموذجا"

وإلى جانب السُفسطائية، نجد الفلسفة الأبيقورية قد ساهمت هي ايضا في بلورة بعض ملامح الفلسفة البراغماتية، وذلك من خلال أفكار "أبيقور" الذي ركز على مبدأي اللذة والألم "فينحصر الخير عند أبيقور في اللذة فهي الهدف والغاية"[1].

من خلال هذا، نستطيع القول بأن "أبيقور" يجعل من اللذة التي هي نتيجة الفعل معيارا للخير، أي أن الشيء الذي يحقق لي لذة فهو خير بالنسبة لنا، وهو نفس المبدأ الذي بنيت عليه الفلسفة البراغماتية التي تؤكد بان الفعل لا يكون صحيحا وصادقا ولا يمكن قبوله إلا إذا حقق نتائج عملية ملائمة لمعطيات الواقع الإنساني.

"وقد ساهم "أبيقور" (341-280 قم م) وتلاميذه في خلفية البراغماتية من عدة وجوه ... وهو أن الأبيقورية كفلسفة ابتعدت عن القول التقليدي بالصدق المطلق، لذلك لأن الحقيقة الفلسفية بالنسبة لأبيقور هي تلك التي تحقق وظيفة عملية"[2].

أي أن الأبيقورية كفلسفة تتصور الوسائل المؤدية للغايات وهو المعيار الذي شيدت عليه الفلسفة البراغماتية (الطابع العملي لحقيقة الأشياء).

وبالتالي، نستطيع القول بأن الأبيقورية كانت ركيزة من ركائز بروز المذهب البراغماتي العملي.

تنشد الأبيقورية البحث والانسياق نحو اللذات حيث يحقق الانسان السعادة و العمل على تحقيقها و الغاية التي توصلنا إلى السعادة هي الخير،" اتجه أبيقور و فضل اللذات العقلية على اللذات الجسمية فهذه الأخيرة مؤقتة زائلة أما اللذات العقلية مصدرها العقل و العلم صالحة لكل زمان و مكان[3] فانسياق الإنسان نحوها سيح ق طمأنينة النفس و بالتالي السعادة.

" فإن خير اللذات هدوء البال و طمأنينة النفس، وأن سعادة الإنسان تعتمد على حالته النفسية أكثر مما تعتمد على الظروف الخارجية فليس المال الكثير و الجاه الكبير و نحو ذلك يعين على السعادة أكثر مما تعين صفات الإنسان الخلقية و العقلية "[4]

1-2-في العصور الوسطى

- أوغسطين " نموذجا".

لقد كان لأفكار أوغسطين تأثيرا واضحا في التأسيس لبعض الافكار البراغماتية، فتعتبر أفكار أوغسطين وسكوت الدينية خلفية لبروز البراغماتية، فمثلا فكرة أوغسطين في الأخلاق التي يؤكد فيها بأن الأوامر الإلهية هي مصدر الأخلاق ولابد للإنسان تطبيق هذه الأوامر وتنفيذها للحصول على السعادة والرضا والشعور بالطمأنينة والارتياح عن النفس وهنا تتجسد فلسفة أوغسطين الدينية التي تجعل تنفيذ الأوامر الإلاهية له نتائج عملية تحقق المنفعة للإنسان، حيث كانت أفكارهم من بين العوامل التي عملت

*"**الأبيقوري**": هو المنسوب إلى أبيقوروس ويطلق على أنار مذهبه، والأبيقورEpicurisme مذهب أبيقوروس القائم على إسعاد الذات بلذة معنوية لا يعقبها ألم،وتطلق على الصفات التي يتصف بها أنصار هذا المذهب، أنظر إلى: جميل صيليبا،المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية (الجزء الأول)، ص34

[1]- عبد العال عبد الرحمن عبد العال: دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقي عن فلاسفة اليونان،دار الوفاء،الاسكندرية، مصر، دط،2003، ،ص31

[2]- محمد مهران رشوان: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة، القاهرة، دط،1984،ص46

[3]- المرجع السابق، ص 31

[4]- أحمد أمين : كتاب الأخلاق، ص32

على بروز الفلسفة البراغماتية. "وقد تأثر بعض البراجماتيين ببعض الآراء الدينية التي قال بها كل من أوغسطين "[1] .

1-3- البراغماتية في العصر الحديث:

أ- المذهب التجريبي "جون لوك أنموذجا"

مما لاشك فيه أن البراغماتية تيار يعكس الواقع الأمريكي في مختلف جوانبه الاجتماعية،السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية،لكن هذا لا ينفي وجود أصول حديثة خارج هذه البيئة، فقد تجسدت هذه الأخيرة في نظريات العديد منالفلاسفة المحدثين من بينهم الفلاسفة التجريبيين،وسوف نكتفي بعرض الأفكار التجريبية العملية للفيلسوف "جون لوك Jhonlocke1704-1932

بحث لوك في أصل المعرفة ومبادئها، وكان رافضا للأفكار النظرية، فالمعرفة نكتسبها عن طريق التجربة،فإن عقل الطفل يولد صفحة بيضاء والتجربة وحدها تسجل عليها المعارف عن طريق استقبال الإحساسات من العالم الخارجي ، فالعقل يركب ويربط ويقارن فقط تلك الأفكار البسيطة التي تنقلها التجربة،قدم لوك مثالا عن الأفكار البسيطة حيث شبهها بالذرات التي تنشأ من وعينا بعملياتنا العقلية وملاحظتها من أمثلتها الأفكار الإنسانية الخاصة بالإدراك والتفكير والشك والاعتقاد والمعرفة "وهناك أفكار بسيطة نستقبلها من إحساسنا وتأملنا الذاتي كألم واللذة"[2]

وعليه فهناك علاقة بين العقل المدرك والأشياء المدركة فربط بين الذات العارفة اي العقل والموضوع المدرك اي العالم المحسوس، فقد أكد لوك بالدرجة الأولى على التجربة الحسية المرتبطة بالواقع وبالتالي الاتجاه التجريبي، فقد ساهم في خدمة الحقيقة والمعرفة وهذا ما ستستفيد منه براغماتية ديوي فيما بعد

لقد تجلت آراء لوك العملية أيضا في التربية "فقد ضم كتاب لوك بعض الآراء عن التربية الذي أصدره عام 1963 خلاصة لآرائه في التربية العملية وكان ثمرة تجريبية مع بعض الأولاد الذي علمهم وطبق عليهم طريقته التربوية"[3]،فقد عمل لوك على تقديم نصائح للناس يتناول وجبات صحية والقيام بالرياضة وعلى تربية أولادهم على هذه الأسس حتى يضمن تمتعهم بالصحة.

كما امتدت توجيهات لوك في مجال التربية إلى الجانب الأخلاقي وذلك لأهمية "تنمية الفضائل الأخلاقية والاجتماعية، وذلك أن التربية السليمة قوامها العلم الجاد والخلق القويم حيث يتطلب من المعلم حسن معاملة تلاميذهم وإتباع مبدأ القوة الحسنة"[4].

ب- المذهب النفعي: جيرمي بنتام أنموذجا: J .Bentham

يعد المذهب النفعي من المذاهب الفلسفية التي كان لها صدى وتأثير في الفلسفة البراغماتية، ويعد بنتام من أهم رواده.

غالبا ما توجهنا معايير نفعية في سلوكاتنا، لأن الإنسان يسعى إلى تحقيق أكبر قدر من اللذات التي توجهه نحو السعادة وبالتالي يهتم بالنتيجة التي يترتب عنها الفعل، فهو يحتكم إلى مبدأ المنفعة أو المصلحة. فالمنفعة عند بنتام هي ما يؤدي إلى إحداث فائدة وخير وسعادة دون أذى أو ألم للفرد والآخر، أي أن المنافع فردية إذا حققت سعادة للفرد، ونقول لصالح المجتمع إذا تحققت منافع جماعية، على اعتبار

---

[1]- محمد مهران رشوان: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، ص47

[2]- لوليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة،ترجمة: محمد محمود السيد،مؤسسة مصطفى قنصوة للتجارة، بيروت، لبنان، ط1، 2010 ص160

[3]- براهيم مصطفى ابراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص288

[4]- المرجع نفسه: ص289

أن " الطبيعة الإنسانية تخضع للألم واللذة فهما أساس الفعل الأخلاقي وأساس مبدأ المنفعة يقوم على اللذة فما يحقق لي لذة وسعادة يجب أن أتبعه"[1] فالمنفعة التي تجلب السعادة الحقيقية لكل فرد من الناس هي التي تقوم على جلب الأرباح ولذة الفرد هو المبدأ الذي بفضله ستحقق السعادة الحقيقية، حيث يقول جيرمي بنتام "المنفعة هي القدرة الكافية في عرض معين على إنتاج ربح أو نفع وامتياز أو لذة أو خير أو سعادة".[2]

وبالتالي، جيرمي بنتام يقيم أخلاقية الفعل على ما يترتب عنه من لذة أو ألم من منفعة أو ضرر، " فيقرر بنتام أن الخيرية والشرية محتاجة إلى جزاء فإن الجزاء الطيب يغرى بالفعل الطيب والجزاء السيء يدفع عن ارتكاب الشر"[3]

ومنه، فإن النفعية قد شملت شتى مجالات التفكير واتصلت بالحياة اليومية وجعلت الفلسفة تسخر جهودها لحل مشكلاتها.

إن سعي الفرد لبلوغ اللذة بشكل مبالغ فيه من اجل الوصول إلى السعادة قد يخلق في الفرد نوعا من الأنانية فيسعى الفرد نحو تحقيق المنافع دون الأخذ بعين اعتبار منافع المجتمع ، لذلك اتجه دعاة مذهب المنفعة إلى القول بمفهوم جديد يراعي مصلحة المجتمع لذلك طبع المنفعة بطابع اجتماعي فأطلق كل من بنتام و جون ستيوارت مل على هذا المذهب " اسم أخلاق المنفعة العامة و هكذا يربط بنتام خير الفرد بخير الجماعة....فالمنفعة الشخصية وثيقة صلة بالمنفعة العامة، فالمحور الأساسي الذي يدور حوله مذهب بنتام هو المبدأ القائل بتحقيق أكبر قسط ممكن من السعادة لأكبر عدد ممكن من الناس "[4]، لذلك فالغاية التي يسعى اليها الفرد هي تحقيق سعادة المجتمع و معيارها هو تحقيق سعادة المجموعة ، فتهتم بالدرجة الأولى بمصلحة البشرية.

" كما أن الصواب الخلقي و الخطأ الخلقي هو نتائج أفعالنا و انه يتوقف على مدى قدرات تلك النتائج على إشباع رغباتنا حتى تتحقق لنا و للأخرين ما تهدف إليه من سعادة"[5]، لذلك فإن الخير يتحقق إذا ربطنا السعادة الإنسانية بسعادة العامة.

" تقاس اللذات في نظر بنتام الى سبعة ظروف او عوامل تمثله في الشدة intensity ، المدة أو الديمومة duration ، التيقن certainty، قرب المنال propinquity ، الخصوبة fecundity ، النقاء purity ، الامتداد extent و في هذا يوضح بنتام أن غاية الانسان أو الفرد جلب اللذة لذا وجب مراعاة شدتها و مدتها و إمكانية حصولها، و كذا نقاوتها من الشوائب و تعميمها أو شمولها لأكبر عدد من الافراد "[6]

---

[1]- جون ربور، ميلتونجولدينجر: الفلسفة وقضايا العصر، ترجمة: احمد حمدي محمود، الجمعية البشرية العامة للكتاب، دط، 1990، ص169

[2]- على عبد الهادي المرهج: الفلسفة البراغماتية، أصولها ومبادئها، ص46

[3]- توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1،1953،ص115

[4]- مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط2، 1999 ، ص 59

[5]- المرجع نفسه: ص 59

[6]- عباس يسرى، مفهوم الليبيرالية، عند جون ستيوارت ميل، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، مذكرة ماستر ، فلسفة عامة، بسكرة ، 2020 ، ص 15.

2- الجذر العلمي:

إن الفكر في إطاره العلمي العملي قد جعل من العمل أداة لتحقيق الأفكار في أرض الواقع، فهذه الفلسفة العلمية العملية هي الفلسفة البراغماتية التي أصبحت طابع يميز ليس التفكير الأمريكي وحسب، بل جوانب عديدة من تفكير الانسان اليوم "فقد جاء العلم الحديث وفي مقدمته فكرة التطور، فلم يعد هناك ما هو ثابت لأن الطبيعة في تغيير وتطور مستمر، لذلك فقد أصبحت الفلسفة خادمة للعلم، وأصبح العمل ومناهجه ونتائجه ميدان الفلسفة كما هو ميدان العلوم"[1] فأصبحت الحياة الإنسانية تقوم على مبدأ العمل وما يحقق من نتائج ناجحة وفعالة .

فنجد من البراغماتيين الذين تأثروا بالعلم الحديث "بيرس" و"وليام جيمس" و"ديوي" "فقد تأثروا بالعلم الحديث وكانوا ذوي اهتمامات علمية فبيرس عُرف بانشغاله بالرياضيات والمنطق وجيمس كان منصرفا إلى الطب وعلم النفس"[2] حيث اتخذ هؤلاء من المنهج العلمي الصارم طريقا لفلسفتهم.

يعد تشارلز بيرس مؤسس الفلسفة البراغماتية "في بحث له بعنوان كيف نجعل أفكارنا واضحة"[3]،وضع في هذا المقال البراغماتية الذي سيصبح قاعدة فلسفية يتبناها "جيمس "و "ديوي".

والجدير بالذكر، أن بيرس قد وضع كلمة براغماتية على أنها اسم لقاعدة خاصة توضح المعاني والكلمات "فدراسة بيرس العلمية هي التي دفعته إلى صياغة هذه القاعدة المنهجية التي تشبه في واقع الأمر فكرة تحقيق الفروض تلك الفكرة التي استوحى أهميتها من العلم الحديث"[4]، ففي نظر بيرس أن الأفكار التي نقوم بصياغتها كقواعد هي في واقع الأمر مماثلة للفروض العلمية، "فقد عرف بيرس الفكرة بأنها مجال الفعل وكان هذا التعريف الجديد للفكرة هو جوهر الانقلاب الذي أحدثته الفلسفة البراغماتية في الفكر المعاصر".[5]

وبالتالي فإن البراغماتيين تأثروا بالتجارب العلمية التي جعلت من الأفكار الإنسانية تحقيقا فعليا على أرض الواقع، فالتفكير الإنساني لابد أن يتخذ مسار العلم، فالمعارف لا معنى لها إلا إذا حققت نتائج عملية تشهدها، "لقد تأثرت البرغماتية بالنظرية الداروينية خاصة فكر "بيرس" حيث جاءت نظرية التطور كرد فعل على الحركات المثالية والدينية فقد غرزت نظرية التطور النزعة العلمية التي يميل إليها المجتمع الأمريكي منذ تأسيسها وحتى ظهور البراغماتية"[6] حيث نجد أن جون ديوي قد قدم صور للبراغماتية باسم مذهب الذرائعية متأثرا بفلسفة داروين في التطور .

لذلك فالأفكار هي الوسيلة أو الأداة لتحقيق التوافق مع العالم الخارجي، يقاس مدى نجاح الفكرة بما تؤديه من نتائج وبما تحققه من منافع تضمن تكيف الإنسان مع الواقع الاجتماعي والمادي.

---

[1]- محمد جديدي: فلسفة الخبرة ديوي نموذجا، دار الشروق، ط2، 1972، ص110

[2]- المرجع نفسه، ص24

[3]- يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط،1993،ص134

[4]- فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط،1993،ص98

[5]- المرجع نفسه: ص99

[6]- على عبد الهادي المرهج: الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها، ص 59

المبحث الثالث: حركة التنوير في المجتمع الأمريكي

لقد شغل العقل مكانة هامة في الثقافة الأمريكية باعتباره كفيل بحل المشكلات الطبيعية والإنسانية، حيث ارتكزت مبادئ حركة التنوير كطابع فكري في القرن الثامن عشر في أمريكا على مبدأ العقل، فهناك الكثير من المفكرين عكست أعمالهم وأفكارهم عصر التنوير الامريكي وأمهم: "بنيامين فرانكلين" و"توماس جيفرسون".

فنجد مبادئ "جيفرسون"* التي دعا من خلالها إلى مجتمع حر، كما أن "بينامين فرانكلين" قد تبنى النزعة الإنسانية العلمانية، تبنى القيمة الاقتصادية للفضائل البيوريتانية* وهي مذهب التطهير ومن بين الحركات الدينية المتحررة التي ظهرت في بريطانيا في القرن السابع كرد فعل على سيطرة الكنيسة "فقام بينامين بإزالة تامة لغلاف التقديس الذي يغلفها ووضعها على قاعدة نفعية خالصة ونحافظ على تلك الفضائل البيوريتانية في صرامتها وبنى صرح الأخلاق على أسس نفعية وجعل لها عقوبات عملية"[1]،على اعتبار أن الإنسان له غاية لابد من تحقيقها ولا يسعه ذلك إلا عن طريق الحرية.

لقد كان جون لوك مصدر التفكير السياسي الذي ساعد الولايات المتحدة الأمريكية إبان ثورتها، فهو المصدر الذي استقى منه القادة مبادئهم حيث يقول لوك في مقاله عن الحكومة المدنية "إنه مادام الناس بطبيعتهم سواسية أحرار مستقلين بعضهم عن بعض فلا يجوز أن يُحْرم أحد من حالته الطبيعية ليخضع لقوة سياسية يملكها شخص آخر"[2].

فمبدأ الحرية الذي دعا إليه "جون لوك" قد استقى منه الأمريكيون وجعل منه أساس إعلان استقلالهم.

ويجدر بالذكر أن فلسفة بنيامين* تغلب عليها النزعة النفعية حتى" نظرته للأخلاق قائمة على أسس نفعية فالأشياء والأفعال تحكم على مدى صدقها وصحتها بناءا على ما تحققه من فائدة فعلية"[3]،أي أن الإنسان له الحق في العمل والحصول على الحرية ولا يمكنه أن يحقق هذه المبادئ إلا باعتماد العقل كوسيلة سياسية دينية وهذا ما أدى إلى وعي الإنسان الأمريكي بممارسة حقه الطبيعي في تحقيق الاستقلال والحرية، وهذا ما ذهب إليه الرئيس الأمريكي السابق "فرانكلين" "فقد كانت غايته هو أن يجعل العالم مكانا أفضل للعيش فدعا إلى إيجاد الشيء العملي ثم استخدامه للخير في الحياة دون قيد أو شروط"[4].

فقد تركت أعمال لوك السابقة بصمتها في قادة الفكر في أمريكا وخاصة توماس جيفرسن الذي أكد على الحرية الدينية "فقد آمن جيفرسون بضرورة الفصل بين الكنيسة والدولة حيث أشار بأن الحكم على أي دين لا يكون على أساس الدين أو العقيدة وإنما على أساس أثره الأخلاقي في المجال العملي"[5].

---

*__توماس جيفرسون:__Thoms Jefferson ولد عام 1943،ينتمي للطبقة الأرستقراطية هيرجينا،صاغ إعلان الاستقلال الأمريكي الدي تأسست عليه فكرة حقوق الإنسانالأول مرة في تاريخ البشرية،توفي في الرابع من شهر يوليو،أنظر إلى: كريستوفر هنشتر،ترجمة رشا سعد زكي، توماس جيفرسون وإعلان استقلال أمريكا، كلمات عربية للترجمة والنشر،ط1، 2008، ص13-14

*__البيوريتانية:__تعد من الفرق الكثيرة للبروتستنية: اليوريتان أو المتطهرات تعتبر من الحركات الاجتماعية الإيجابية التي غايتها الإصلاح أنظر إلى: جميل صيلبا، المعجم الفلسفي، ص110

[1]- هربرتتسيندر: تاريخ الفلسفة الأمريكية، ترجمة: محمد فتحي الشظي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط ، 1964، ص36

[2]- زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، ص24

*بينامين فرانكلين Benjamin Franklinولد في السابع عشر من يناير في بوستون عام 1706،سياسي وعبقري أمريكي توفي عام 1970، أنظر إلى: عباس محمود العقاد،بنجامينفرانكلين،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،2012،ص28-29

[3]- المرجع نفسه: ص54

[4]- على عبد المرهج: البراغماتية أصولها ومبادئها، ص54

[5]- بيتر كار: تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال 2000 عام، ترجمة: حسن نصار، مكتبة الأنجلو مصرية، دط ،1980،ص75

فقد آمن بأن "الحقوق المدنية علمانية وأن الدين ينجح أعظم نجاح في كنف الحرية"[1]، وبالتالي أراد تأسيس مشروع إصلاحي أخلاقي مشترك بين أفراد المجتمع ،فقد كانت هذه الحركة بمثابة استنارة للفكر العقلي الأمريكي بشكل عملي مفيد في حياة الأمة الأمريكية.

المبحث الرابع: البراغماتية الأمريكية وأبرز أفكارها العملية:

لقد مر الفكر الإنساني بعدة مراحل في تصوره لعلاقة الإنسان بالعالم المحيط به، وإذا تناولنا الفكر الغربي أنه بدأ من العصر اليوناني، ثم العصر الوسيط ثم بروز العقلانية مع "ديكارت" وفلاسفة الانوار، ثم الفلسفة المعاصرة التي سحبت الثقة من كل ما كان يعتبر مقدسا في العصر الحديث، لتغوص اكثر في واقع الانسان بما يطرحه من مشكلات حقيقية وهذا ما نجده في التيار البراغماتي "الفكر الغربي لم يقتصر على العقل الإنساني في تصوره للعلاقة بين الإنسان والعالم بل تتعمق لتشمل الملكة التي أطلق عليها برجسون اسم الحدس وما يصدر عنها من إدراك مباشر للحقيقة، وتتسع لتضم كذلك التجربة المعاشة التي يتحدث عنها الفلاسفة الوجوديون، كل هذا التطور يشهده الفكر الغربي في أوروبا، أما في أمريكا فقد اتجهت الحياة الفكرية وجهة أخرى تتفق مع اتجاهات الناس في هذا العالم الجديد وهي تلك الاتجاهات العملية"[2].

يعد المذهب البراغماتي من بين أكثر المذاهب الفلسفية المعاصرة بروزا وانتشارا في أمريكا خاصة لما لها من آثار حيث جاءت بالجديد وجاءت مخالفة لتلك النظرة القديمة في تفسير الأفكار، حيث أن جوهر "البراغماتية" هو النتائج أي أن كل فكرة ونظرية تظهر لا يمكن اعتبارها صحيحة إلا إذا حققت النتائج المرجوة النافعة، وذلك من خلال مطابقة هذه النتائج لمتطلبات الواقع، أي أن الفعل لا يكون صحيحا إلا بمدى المنفعة التي يحققها الفعل والفكرة من نتائج تكون صادقة وحقيقية لأنها تطابقت وتلاءمت مع الواقع الإنساني.

والأمر نفسه بالنسبة إلى النظريات العلمية، فإذا كانت النتائج التي تصل إليها تلك الفكرة مطابقة لما يحدث في الواقع تصبح الفكرة نظرية علمية، أما إذا لم تتطابق الواقع لا يمكن اعتبارها نظرية علمية صحيحة لأن نتائجها مخالفة للواقع، وهذا هو أساس ولب الفلسفة البراغماتية تلك الفلسفة العملية حيث ظهرت لتغيير وجهة النظر من أساسها فهي جديدة نسبة للأفكار التي جاءت بها. "إن المذهب البراغماتي يربط معارفنا بعالم التجربة لا من حيث النشأة بل من حيث النتائج، فجاءت البراغماتية الأمريكية لتجعل النظر إلى النتائج مبدأ شامل لميادين الفكر جميعا، هذا هو أساس الفلسفة البراغماتية الفلسفة العملية التي هي طابع الفكر الأمريكي الجديد"[3] .

و تعود الخصائص العامة التي تميز التفكير الأخلاقي في الفلسفة البراغماتية إلى كل من بيرس،وليام جيمس، جون ديوي الذي فصل في بيان موقف البراغماتية من الأخلاق.

وسنقوم بعرض أهم الأفكار التي تميز بها كل فيلسوف عن الآخر في إطار الفلسفة البراغماتية بدءا بـ:

---

[1]- المرجع نفسه، ص70

[2]- يحي هويدي: الفلسفة الغربية، دارالثقافة، القاهرة، دط، 1993، ص123

* تشارلز بيرس: كان تشارلز بيرس (1839-1914)، مؤسس البراغماتية- تمرس ككيميائي وقضى معظم حياته كعالم مجتهد وناجح.

مؤلفاته: كتب عن العلم، أصل الأنواع، أنظر الى: تشارلز موريس: رواد الفلسفة البرغماتية، ترجمة ابراهيم مصطفى ابراهيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2011، ص24

[3]- زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشرق، (ط2)،1952، ص ص118-119

أ- تشارلز ساندرز بيرس*:

يعتبر "تشارلزساندرز بيرس" أول فيلسوف جاء بمصطلح البراغماتية الأمريكية، حيث يقر بأن الأفعال الإنسانية هي مصدر أفكارنا التي نطلقها على الأشياء، أي أن معرفة شيء ما لا تكون حقيقية إلا عن طريق الآثار والنتائج التي تحدثها وهذا ما قدمته البراغماتية كجديد، وفي نظر"بيرس" فإن ما يصطلح عليه الإنسان من قواعد فهو ينطبق على البحث العلمي والفروض العلمية، هذه القواعد والمبادئ حسب "بيرس" تستمد من المنطق الذي يضع مبادئ البحث، وعلم الجمال هو الذي يقدم لنا المثل الأعلى للحياة، فمن خلاله يتحدد المثل الأعلى العقلي أو علم الأخلاق الذي يمتلك القدرة على التحكم في العلم حسب "بيرس، وهذا بمساعدة المنطق الذي يجعل علم الأخلاق هو المتحكم في العلم، إضافة إلى توجيه الإنسان للحصول على أعلى مراتب الخير الأسمى الذي لابد أن يكون مرتبطا بمدى تحقيق الفعل أو السلوك للنتائج التي تحقق الرضا للإنسان.

أي أن "بيرس" ربط الأخلاق في فلسفته بمدى ما تحقق من نتائج عملية في فلسفة البراغماتية حيث أن الأخلاق مصدر الوصول إلى الخير الأسمى عن طريق المنطق وعلم الجمال اللذان يوجهان العقل لربط الفعل بما يحققه من نتائج وآثار عملية يلاحظها كل إنسان، فكانت غاية "بيرس" الأساسية هي أن تسري قواعد البحث العلمي على الفلسفة.

"لقد انتهى "بيرس" إلى أن الفكرة هي ما تعمله أي أن معناه يرتبط بنتائجها وآثارها العملية المترتبة عليها، وقد عرف الفكرة بأنها مجال الفعل وكان هذا التعريف الجديد للفكرة هو جوهر الانقلاب الذي أحدثته البراغماتية في الفكر المعاصر"[1].

"وما ينطبق على موقف الإنسان الشخصي يطبق أيضا على البحث العلمي، وعلم الجمال والأخلاق والمنطق يزودنا بالقدرة على التحكم في العلم، وبتوجيه يرشدنا إلى الخير الأسمى"[2].

ومعنى هذا أن كل معارفنا لا يمكن قبولها إلا إذا كانت نتائج عملية يمكن لكل إنسان أن يشاهدها، أي أن فكرتنا عن أي شيء هي فكرتنا عن آثاره المحسوسة.

ب- وليام جيمس*:

يعد "وليام جيمس" ثاني فيلسوف أمريكي في البراغماتية المعاصرة، حيث اتفق مع "بيرس" في مبدأ الأخذ بالنتائج العملية لكن اختلف معه في التفاصيل، حيث يرى "جيمس" بأن علم الأخلاق هو علم إنساني يكون الإنسان هو مصدر الفضيلة والرذيلة، الخير والشر، فالإنسان المتفائل يرى الوجود الخير، أما الإنسان المتشائم يرى الوجود الشرير، فمهمة بناء وتشريع السلوكات الأخلاقية في براغماتية جيمس ترجع إلى الإنسان ومدى تحقيقها لغاياته وأهدافه.

---

* وليام جيمس(1842-1910): فيلسوف وعالم نفس أمريكي، اتسعت شهرته بسبب دفاعه عن البراغماتية التي وضع فيها كتابا عام 1907، بعنوان Nagmatism.

من أشهر مؤلفاته: كتاب مبادئ علم النفس(1890)، كتاب الرغبة بالإيمان(1896)، أنظر الى: وليام جيمس: الرغماتية، دار الفرقد، (دمشق، سورية)، ط1، 2014، ص7

[1]- فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دارالجيل، بيروت، لبنان،(ط1) ،1993،ص97-98

[2]- المرجع نفسه، ص101

والشر لا يمكن القضاء عليه عن طريق الوضع الميتافيزيقي الغير قادر على التمييز، بينما يكمن شرط القضاء على الشرور من خلال المذهب الواقعي العملي والعلمي الذي يكون فيه الإنسان يمتلك الأحقية في إصدار ما يتماشى مع منافعه الإنسانية، أي أن "جيمس" جعل شرط التغلب على الشر هو الممارسة العملية الواقعية بإرجاعها إلى الإنسان باعتباره أساس الوجود، فيجب النظر إلى الأفعال الإنسانية وقبول السلوكات العملية التي تحقق نتائج يراها الإنسان واقعيا حسب جيمس "يرى جيمس أنه لا معنى لقيام علم أخلاق في عالم ليست به حياة إنسانية، إن عالما به عناصر مادية ومركبات كيماوية لا نجد منه مدلولا للخير والشر والقبح والإلزام"[1]

"ومشكلة الشر مستحيلة الحل على الأساس الميتافيزيقي وإنما يمكن حلها على أساس عملي"[2]

ج- جون ديوي:

يعتبر "جون ديوي" مثال للفلسفة البراغماتية الأمريكية بأوسع معانيها، حيث عبر عن موقفه الأخلاقي البراغماتي بدقة، كما أكد على دور النتائج في السلوكات الإنسانية التي اعتبرها مصدر وأساس الخير والشر ومعيار للصحيح والخاطئ على اعتبار أن النتائج التي يصل إليها الإنسان عن طريق أفعاله وما تحقق من منافع هي معيار الأحكام الخلقية.

"حيث أبان "جون ديوي" عن منهجه الأخلاقي البراغماتي في سلسلة من الكتب وفي فلسفته أكد على قيمة النتائج الاجتماعية والفردية للأفعال الإنسانية باعتبارها مقياس الخير والشر ومعيار الصواب والخطأ، وعلم الأخلاق في رأيه ليس علما نظريا مجردا وإنما هو جزء من الحياة متمم لها"[3].

ولا نريد الإطالة كثيرا لأن هذا ما سنتناوله لاحقا بالتفصيل.

فالمذهب البراغماتي له مكانة بارزة في الفكر الفلسفي المعاصر ويعتبر أكبر وأعظم ما قدمته الفلسفة وخاصة الأمريكية هي وَضْعِها لتلك العلاقة بين ما هو نظري وما هو عملي، ودراسة المسائل ومختلف المواضيع دراسة علمية حيث جعلت الفلسفة ومواضيعها تعتمد على طرق البحث العلمي، كما حاولت تعميم فكرة العمل بالنتائج وما تحققه من منافع على ميادين الفكر جميعا.

"يرى بعض المفكرين بأن فضل المذهب العملي البراغماتي على الفلسفة يشهد به توكيده للعلاقة بين النظر والعمل ودراسة المسائل دراسة علمية"[4]

[1]- كامل محمد محمد عويضة: وليام جيمس رائد المذهب البراغماتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1)، 1993 ص ص178-179

[2]- المرجعنفسه: ص182

[3]- توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1 ،1953، ص ص259-260

[4]- توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، ص178

خلاصة:

مما سبق ذكره، نستنتج أن البراغماتية كتيار فلسفي يعكس واقع الإنسان المعاصر، إلا أن إرهاصاتها الأولى بدأت منذ القدم وإن لم تكن واضحة المعالم ومكتملة كما نلاحظها اليوم مع الفلاسفة البراغماتيون، الذين ربطوا بين الفكر والعمل، فالفكرة يكمن صدقها فيما تحققه من فوائد عملية مرتبطة بالواقع المعاش، ويمكن اعتبار الشخصيتان "توماس جيفرسون" و "بينامين فرانكلين" من البراغماتيين الأوائل في تاريخ الفلسفة الأمريكية في القرن 18،كما أنه لا يمكن القفز على دور "جون لوك" الفيلسوف الذي كان له صدى في تأسيس البراغماتية فهو الفيلسوف التجريبي التي استقت منها البراغماتية اتجاهها من خلال الاهتمام بالتجربة في الواقع وربطها بالفكر.

الفصل الثاني
جون ديوي الإنسان
و المفكر

الفصل الثاني: جون ديوي الإنسان المفكر

المبحث الأول: حياته ومؤلفاته

أ- حياته

ب- مؤلفاته

المبحث الثاني: منابع فكر جون ديوي

المبحث الثالث: فلسفته

أ- فلسفة الخبرة عن جون ديوي

ب- التربية وسيلة التغيير الاجتماعي

ج- الفن صلته بالعلم والفلسفة عند جون ديوي

د- الديمقراطية عند جون ديوي

ه- المنطق

و- تصور ديوي للحرية

ز- الدين

تمهيد:

لقد كان للفلاسفة الأمريكيين تأثيرا كبيرا في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والإنسانية وعلى رأسهم الفيلسوف "جون ديوي" الذي كان له العديد من الأفكار والنظريات في مختلف الحقول الإنسانية متأثرا في ذلك بالعديد من الفلاسفة، حيث اتخذ بعضها كمرجعية لأفكاره وفلسفته.

وحتى نتعرف على ديوي بشكل معمق لابد من محاولة الإجابة عن الأسئلة التالية من هو جون ديوي؟ وما هي أهم مؤلفاته؟ فيما تتمثل مرجعيات فكره؟ وما هي أهم القضايا التي تناولها ديوي في فلسفته؟

الفصل الثاني: جون ديوي الإنسان والمفكر

المبحث الأول: حياته

ولد جون ديوي في مدينة برلنكتن في ولاية فِرْمونت في الولايات المتحدة يوم(20أكتوبر1859) وكان ثالث أربعة من الأولاد لعائلة متواضعة كانت عائلة أبيه تمتهن الفلاحة فلم يستطع أبوه وبحكم وضعه الاقتصادي أن يحصل على تعليم مدرسي منتظم فشب ضعيف الثقافة المدرسية،إلا الحصول على أوليات القراءة والكتابة وبعض المعلومات التي اكتسبها بواسطة اتصاله الشخصي بالناس،أما أم جون ديوي فكانت تنتمي إلى عائلة مرموقة المركز الاجتماعي وذات ثقافة عالية[1]،"اسمها "لوسينارتش" وقد بثت الأم في أبنائها محبة الثقافة ونشأ جون محبا للقراءة عاكفا على الكتب،وقد أمضى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدرسة برلنجتون العامة لا ينفك عن شراء الكتب والاطلاع عليها،هذا إلى انه كان يشارك في أعمال البيت وفي أعمال الحقل حين يذهب عند أقارب أمه في الإجازة، وقد أثرت هذه النشأة الأولى في فلسفته التربوية، ولما بلغ جون ديوي الخامسة عشرة تخرج في المدرسة الثانوية والتحق بجامعة فْرمونت القريبة من منزل الأسرة[2].

كما ودرس أثناء وجوده في الجامعة اللغتين اليونانية واللاتينية والتاريخ القديم والهندسة التحليلية وحساب التفاضل والتكامل ثم درس العلوم الطبيعية ونظرية التطور وفي السنة الأخيرة تضمنت دراسات في الاقتصاد السياسي والقانون الدولي وتاريخ الحضارة وعلم النفس وعلم الأخلاق وفلسفة الدين والمنطق...ومما نتج عن استقرار ديوي نحو دراسة الفلسفة واتخاذها غاية له في الحياة هو دراسة لكتاب "علم الفسيولوجيا لتوماس هنري هكسلي" وخلقت في نفسه نظرة أشمل للأشياء وبعد أن تخرج من الجامعة عام 1879 أخذ يبحث عن عمل وانتقل للتدريس في إحدى المدارس الريفية القريبة من ولايته "فْرمونت[3].

ثم اتجه يعلم الفلسفة في جامعة مينيسوتا بين عامي (1888-1889) وانتقل بعدها إلى مِيشْغَان بين (1889-1894) ثم إلى شيكاجو من 1894 إلى 1904 وعاد بعد ذلك شرقا فاشترك في قسم الفلسفة في جامعة كولومبيا وترأس هذا القسم، لقد أكسبته العشرون سنة الأولى التي عاشها في فرمونت بساطة الحياة التي تميز هذه المنطقة وبقيت هذه البساطة ملازمة له حتى في عام مجده وذيوع شهرته ومكنته العشرون سنة التي قضاها في الغرب الأوسط من رؤية أمريكا الفسيحة فدرس إمكانياتها وقواها وحدودها"[4].

---

[1]- نوري جعفر: جون ديوي حياته وفلسفته،مطبعةالزهراء،بغداد،(دط)،(دت)،ص4

[2]- أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، (ط3)،1986، ص ص20-21

[3]- كفاد يحي صالد العسكري: الغزالي وجون ديوي نظرتهما للطبيعة الإنسانية، لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي أفريل،2013 العدد2، ص38

[4]- ول ديورانت: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، (ط6)،1988،ص620

"وقد ظل ديوي يبدي نشاطا في اتحاد المعلمين بنيويورك إلى أن استطاع اليساريون أن يتغلبوا على السلطة فيه، وكان أيضا من مؤسسي اتحاد الحريات المدنية للأمريكيين وجمعية أساتذة الجامعات الأمريكيين، توفي جون ديوي في أول يونيو عام 1952"[1].

ـ مؤلفات جون ديوي

لقد كان لجون ديوي John Dewy العديد من المؤلفات في مجالات مختلفة من الفكر الفلسفي، فألف في الميتافيزيقا، وفلسفة العلوم، المنطق، علم النفس والدين وغيرها، ومن أهم مؤلفاته:

ـ سنة 1882م:نشر أول مقالة له تحت عنوان الدعاوي الميتافيزيقية للمذهب المادي في مجلة الفلسفة النظرية

-1887:عليمالنفسPsychology

-1897:عقيدتي التربويةMypedagohicGreed

-1899:علم النفس والمنهج الفلسفيPsycholog and philosophie Method

-1900:المدرسة والمجتمعThe school and Society

-1902:الطفل والمنهج الدراسيThe child and the Curriculum

-1903:دراسات في النظرية المنطقيةStudent in logicaltheoryBthics

-1908:الأخلاق مع جيمس تافتس

-1910:كيف نفكر؟How wethink

:أثر دارون في الفلسفة:The Influence of Darwin on philosophy

-1915:الفلسفة الألمانية والسياسيةGerman and politics

:مدارس الغد مع ابنته إيفلين ديويSchool of tomorrow

-1916:الديمقراطية والتربيةDemocracy and Education

:مقالات في المنطق التجريبي

:طبعة ثانية معدلة لكتاب دراسات في النظرية المنطقيةEssaysisexperinent al logic[2]

-1917:الذكاء المبدع مع آخرونGreative Intelligence

-1920:تجديد في الفلسفةRecontruvtion in philosophy

-1922:الطبيعة البشرية والسلوكHumanNatue and Conduct

-1925:الخبرة والطبيعةExperience and Nature

-1929:شخصيات وحوادثGharaters and Events

:الفن والتربية(مع بخرون)Art and Eduction

:البحث عن اليقينThe Quest of Certainty

-1930:الفردية قديما وحديثاindividualityold and New

:مقالة من المذهب المطلق إلى المذهب التجريبيfromAbsolutism to Experinom-talism

:عقيدتي الفلسفيةGredo

-1931:الفلسفة والحضارةphilosophy and Civilisation

---

[1]-جون ديوي: المنطق نظرية البحث،ترجمة: زكي نجيب محمود،تقديم الرشيد الصادق محمودي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، دط، 2011،ص5

[2]- أحمد فؤاد الأهواني: جون ديوي : نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، ط3، ، 1959، ص17

1934-الفن كخبرةArt as Experience
:إيمان مشتركACommonfaith
1935-التحرير والحركة الاجتماعيةLiberalism and Social Action
1938-:الخبرةوالتربيةExperience and Education
:المنطق أو نظرية البحثlogic the Theory of Inquiry
1939-:الحرية والثقافةfreedom and Culture
:نظريةالقيمةThoory of Valuation
1940-التربية في العصر الحاضرEducation of day
1946-مشكلات الناس نشر في طبعة ثانية سنة 1956 بعنوان فلسفة التربيةprobhem of men
1949-المعرفة والمعروف(مع آرثر بتلي)Knowing and the Known[1]

المبحث الثاني: منابع فكر جون ديوي

كان جون ديوي متأثرا الى حد كبير بنظرية التطور لداروين "فهو يرى أن حياة الإنسان ليس في جوهرها إلا محاولة متصلة من جانبه لتحقيق التوافق مع البيئة المحيطة"[2]. فسلوكات الإنسان تكون صحيحة وسليمة إذا توافقت مع الأفكار وهذه الأفكار التي يتحدث عنها جون ديوي تعبر عن أحكام نابعة من الواقع العملي العيني.

ونستطيع أن نميز ثلاثة محاور أساسية في فلسفة ديوي الأداتية ألا وهي: "الترابط العضوي والتطور والتجريبية"

في المحور الأول تأثر بدراسة الأولى لهيجل من ناحية، وبنظريات هكسلي البيولوجية من ناحية أخرى، وظل ديوي على اعتقاد طيلة حياته بالتفاعل العضوي والتماسك الوثيق بين الأشياء وهذا ما دفعه إلى معارضة كل ثنائية في الفلسفة بين المادة والعقل وبين التجربة والضرورة وبين الواقع والقيمة"[3].

أما المحور الثاني فقد تأثر بداروين واتضح هدا التأثير في نظرياته التربوية والاجتماعية والسياسية"[4]

أما المحور الثالث: التيارات التجريبية، كان تراث مشترك في الفلسفة الأنجلوساكسونية بوجه عام وفي الفلسفة البراغماتية بوجه خاص.

فنجد جون ديوي في فلسفته الآداتية قد اعتمد على فكرة جوهرية أساسية هي أن الأفكار والتصورات والنظريات ليست سوى وسائل وأدوات وخبرات مستقبلة"[5]، لذلك ففلسفته هي فلسفة عملية تربط الفكر بالعمل، حيث تتخذ الفكر والعقل كوسيلة لخدمة الحياة، وتعتمد على الأفكار والتصورات كأدوات لتغيير الواقع المعاش وتسخيره لحاجات الإنسان المتغيرة والمتعددة، وبذلك، فهذه الفلسفة جاءت ضد الفلسفات المثالية التي جعلت الفكر منفصل عن أحداث الحياة الإنسانية الواقعية، وبالتالي فمهمة الفلسفة هي البحث في الجانب الواقعي، فقد كان جون ديوي متأثرا بزميله "وليام جيمس" فقد اعتمد عليه في مواضيع عامة وكذلك تأثر بـ"تشارلس سندرس بيرس(1914-1939)،فيمكن القول أنه اعتمد على آراء بيرس في

---

[1]- أحمد فؤاد الأهواني: جون ديوي : نوابغ الفكر الغربي ، ص18
[2]- يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية،دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، دط،1993 ،ص138
[3]- فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل ، بيروت، ط1،1413ه،1993م،ص117
[4]- المرجع نفسه: ص117
[5]- زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، مصر، دط، دت، ص65

صياغة فلسفته "فالواقع أن كل ما قد وصف به ديوي تفكيره مستمد في معظمه إما من بيرس وإما من وليام جيمس لكنه صاغ بطريقة بتفرد بها"[1].

الجدير بالذكر أن مذهب جون ديوي أطلق عليه بالمذهب الذرائعي أو الأداتي الذي يرتبط بالعالم الواقعي فينشد المنافع و يحقق نتائج عملية تتلاءم مع ظروف الحياة بناء على جعل الفكر أداة لتحقيق الأفعال و السلوكات في كنف المجتمع " يمكن القول : أن مذهب ديوي هو (المذهب الواقعي ، البرجماتي ، الوضعي، التجريبي ، الأداتي، السياقي) و بإختلاف التسميات إلا أنها تصب في مصب واحد هو الواقعية في التعامل مع معطيات الحياة، من فكر و من سياسة و فن و دين و تربية، و ذلك عن طريق إعادة صياغة الأفكار و النظريات و بطريقة عملية ، و لذلك كانت تسمى البرجماتية و هي الأنسب في الوصف و التسمية"[2].

المبحث الثالث: معالم فلسفة جون ديوي

بالنظر إلى المهمة التي اختارها ديوي حيث عمل على الإصلاح الشامل في فلسفته وسعى لإعادة بناء قيم الحرية والديمقراطية والتربية، ووضع منهج جديد مخالف لما سبقه، وجعل كل النظريات خاضعة لمنهج علمي، وبذلك اعتبرت فلسفة جون ديوي براديغم جديد متسق، وسنحاول توضيح أهم المحاور التي وقف عليها في فلسفته من خلال:

أ- فلسفة الخبرة عند جون ديوي:

لقد شكلت " الخبرة*" نقطة بداية الفلسفة البراغماتية التي أولتها أهمية واضحة من خلال دورها لأنها تساعد الإنسان على حل مشاكله وتربطه بواقعه اليومي العملي من خلال الممارسات اليومية.

وباعتبار جون ديوي فيلسوف براغماتي فلقد تأثر بالنتائج التي تنشأ من الخبرة حيث لقب بفيلسوف الخبرة لأنه جعلها محور كل التفكير الإنساني بحيث طبقها في العديد من المجالات كالمنطق، التربية، الفن، السياسة والمنهج وغيرها "بالنظر إلى الاهتمام الواسع الذي أولاه الفيلسوف لتطبيق فكرة الخبرة على مجالات عديدة مست المنطق، التربية، الفن السياسة ،المنهج وغيرها، لهذا كانت فلسفته هي فلسفة الخبرة..."[3]

لقد سمي جون ديوي بفيلسوف الخبرة من خلال تخصيصه للعديد من المؤلفات للحديث عنها:ككتابه الفن والخبرة،الخبرة والتربية، وغيرها...

حيث دعا إلى تأسيس التربية بناء على الخبرة، أي أن التربية عندما تُبنى على أسس صحيحة ودقيقة من خلال الخبرة فقط لا عن طريق شيء آخر فإنها ستحقق أهداف ونتائج عملية جيدة "سبق أن ذكرت أننا ننظر إلى التربية على أساس خبرة الحياة، فلابد إذن من وضع نظرية مستنيرة للخبرة، وإن شئت فقل

---

[1]- جوناثانري: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل وجلال الشري وعبد الرشيد صادق، مراجعة وإشراف نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013، ص204

[2]- رافد قاسم هاشم : جون ديوي، و المنهج البرغماتي، كلية الفنون الجميلة جامعة بابل، كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية، العدد 39 حزيران 2018.ص1414.

*الخبرة:experience"مصطلح عام يختزل ضمنه مفهوم المعرفة أو المهارة او قدرة الملاحظة لكن بأسلوب فطري عفوي عميق عادة يكتسب الإنسان الخبرة من خلال المشاركة في عمل معين أو حدث معين، لذلك تترافق كلمة خبرة غالبا مع كلمة تجربة experiment"، أنظر الى: مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، دار أسامة، الأردن، عمان، ط1، 2009، ص214

[3]- محمد جديدي: فلسفة الخبرة جون ديوي نموذجا، بقلم: فتحي التريكي، تونس، ص40

فلسفة الخبرة تنبني عليها الخطط والمشروعات التربوية، وإلا كانت تحت رحمة أي تيار فكري قد يهب عليها مصادفة"[1].

بمعنى أن الخبرة هي أساس بناء المشاريع التربوية الصالحة للتجديد وتغيير الخطط التي تعرقل تحقيق الأهداف الأساسية من التربية، فهي كفيلة بتفادي هذه الأخطاء.

إضافة إلى ربط ديوي بين التربية والخبرة، فهو أيضا جعل من العمل الفني نتيجة للخبرة، فيرى بأن العمل الفني الحقيقي الذي يجعل معاني جمالية معبرة ينشأ من خلال الخبرة التي تساعد على تحقيق غاية العمل الفني الحقيقية.

ويمكن القول بأن جون ديوي جعل "الفن" هو عبارة عن خبرة، يقوم الإنسان بتطويرها عن طريق النشاطات الطبيعية ليصل إلى العوامل التي تحول الأشياء العادية إلى أعمال فنية تحمل معاني جمالية.

لقد جعل "ديوي" من الخبرة منهجا كغيره من المناهج لوضع النظريات... "ولما كان العمل الفني الحقيقي هو ما يصنعه الإنتاج الفني من الخبرة أو ما يستحدثه في صميم الخبرة..."[2]. وبالتالي، فحتى الجوانب الجمالية في الاعمال الفنية لابد أن تنبع من الواقع " أي تصور للفن الجميل إذا جعل نقطة بدايته تلك الصلة الوثيقة التي تجمع بين الفن من جهة وبين الكيفيات المكتشفة من الخبرة العادية من جهة أخرى، فإنه لابد من أن يصبح في مقدوره إظهارها على العوامل والقوى التي تساعد على تحويل ضروب النشاط البشري العادي إلى أمور ذات قيمة فنية عن طريق نوع من التطوير الطبيعي السوي"[3].

من كل هذا، نستطيع القول بأن ديوي وضع مكانة كبرى للخبرة في فلسفته وجعلها محور ومصدر العديد من المجالات، فرأى بأن التربية السليمة التي تخلق مجتمع يقوم على أسس تضمن التقدم الاجتماعي والفردي يكمن عن طريق الخبرة وما تضمنه من أساسيات للعمل التربوي، هذا إضافة إلى ربط ديوي العمل الفني بالخبرة، ففي نظره العمل الفني الذي يحمل آثارا جمالية ويكون يعبر عن الفن الحقيقي الجميل ما هو إلا عبارة عن مجموعة من الخبرات والتجارب التي منحت العمل الفني الآثار الجمالية المعبرة عن التجارب والخبرات الإنسانية، "فديوي فيلسوف الخبرة بامتياز، فحين تنظر إلى الفن نجد بأن الفنان يبدع في رسم لوحة ما أو وضع مقطع موسيقي عندما يتأثر بالخبرات والتجارب التي يعيشها في حياته.

التربية وسيلة التغيير الاجتماعي:

لقد اعتبر "جون ديوي" التربية* شرط رئيسي لإصلاح المجتمع والأفراد، فيرى بأن التربية تبدأ من الطفولة، ويعتبر المدرسة المنشأ الرسمي للطفل، حيث تقع على عاتق المربي مهمة الإصلاح، فهي تنمي العقول، وترسخ فيها قيم الحرية والديمقراطية، ويعتبر دمج الأسلوب العلمي في المدرسة هو السبيل الصحيح لجعلها فعالة في المجتمع، وذلك من خلال استعمال النشاطات اليدوية وتعليمها للطفل لتصبح عادة عنده، ولا يكون استخدام هذه النشاطات اليدوية بغرض التقليل من سيطرة التقنية فقط بل لنشر القيم الديمقراطية في الطفل من الطفولة ،ويعتبر ديوي الأساليب القديمة التي تستخدم في المدارس لتربية الطفل ليست ناجحة ولا تحقق دعائم وشروط وأهداف المجتمع الصالح، لذا لابد من إدخال ودمج العنصر العلمي

---

[1]- المرجع نفسه، ص42

[2]- جون ديوي: الفن والخبرة، ترجمة زكرياء ابراهيم، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، دط، 2011، ص9

[3]- جون ديوي: الفن والخبرة، ص23

*__تعريف التربية:__في الفرنسية :education، في الإنجليزية educatios culture،في اللاتينية educatio،التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله أو هي كما يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسية بالشطرين حتى تبلغ كمالهاشيئا فشيئا، تقول: ربيت الولد إذا قويت ملكاته ونُميت قدراته، وهذبت سلوكه حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة"، أنظر الى: جميل صلينا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1982، (دط)، ص266

في المؤسسات التربوية " تعد التربية الوسيلة الأساسية للإصلاح الاجتماعي الذي يتم إنجازه من خلال المدرسة لأنها الوسط الاجتماعي الرئيسي المؤهل لغرس الأخلاق الديمقراطية في ذهنيات الأطفال وسلوكهم، ويمثل إدخال المنهج العلمي إلى المدرسة الطريق الأصوب لدمج المدرسة في صلب المجتمع، وإن تحديد روح المدرسة المثمر رهين وفق ديوي بالتأهيل الاجتماعي لمنهج الذكاء العلمي وتدريس الطفل على استخدام النشاطات اليدوية ليغدو عادة راسخة لديه"[1].

فالمدرسة هي الأساس الجوهري للمجتمع وإعداد الفرد ليكون مواطنا صالحا "يلزم أن نجعل في كل مدرسة من مدارسنا حياة اجتماعية مصغرة أو حياة اجتماعية في بدايتها فعالة بأنواع مهنها التي تعكس حياة مجتمع أكبر، وتتقدم بروح من الفن والتاريخ والعلم، فعندما تقدم المدرسة كل طفل إلى عضوية المجتمع وتدربه داخل مجتمع صغير من هذا النوع فتجعله يتشرب روح الخدمة، وتجهزه بأدوات التوجيه الذاتي الفعال يكون لنا حينذاك أعمق وأحسن ضمان لمجتمع أكبر ذي قيمة وحسن وانسجام"[2].

من خلال هذا القول يتبين لنا بأن "جون ديوي" ربط واقع المدرسة بالحياة الاجتماعية عن طريق ضرورة وضع أشغال مهنية تساعد الأطفال على الاندماج داخل المجتمع وتمكنهم من تحقيق ذواتهم وتكوينهم تكوينا نفسيا منتهيا لضمان التقدم الأكبر لمجتمعهم، فالمدرسة في نظر جون ديوي هي الركيزة والدعامة الرئيسية لتحقيق التغيير الاجتماعي التربوي السليم.

لذا تعتبر فلسفة التربية عند جون ديوي من أكثر الفلسفات شهرة حيث سمي بفيلسوف التربية لأنه سعى لاستعمال قدرات الأفراد في مهارات ذات غايات اجتماعية واقعية، أي استخدام موجه بواسطة منهج علمي وذلك لتحقيق قيم الديمقراطية وهذه الأعمال تجعل الطفل يتصل بالواقع الحسي والاجتماعي.

وفي هذا السياق، يمكن القول بأن فلسفة التربية لجون ديوي فلسفة إصلاح اجتماعي بدءا بالمدرسة والطفل لتكوين مجتمع سليم ومتفوق بكل المعايير التربوية ومتماسك، دون إغفال المنهج العلمي ودوره الأساسي في نظرية ديوي التربوية التي تقوم على فكرة التقدم.

ب- <u>الديمقراطية عند جون ديوي:</u>

لقد اهتم "جون ديوي" بالديمقراطية* اهتماما بالغا وكان سباقا في فصلها عن إطارها السياسي، حيث اعتبر الديمقراطية ليست نوع من أنواع الحكم بل فتح لها أبوابا واسعة، فجعل منها خبرة وتجربة يخوضها الإنسان لتحقيق أهدافه وغاياته الحياتية، لذا دعا إلى حضور الديمقراطية في كل مجالات الحياة، كما حاول ربط الديمقراطية بالتربية على أساس عملي، حيث أكد على تنشئة الأطفال منذ الصغر على قيم الديمقراطية وتربيتهم على محبتها بغرسها في أنفسهم مما سيخلق مجتمع ديمقراطي وهذا يتطلب مساعدة المدرسة في زرع الديمقراطية في الأطفال إضافة إلى مساعدة الدولة في تحقيقها حيث يؤكد "جون ديوي" على الأفكار المحلية من خلال نتائجها الديمقراطية وقبول الأفكار التي تتحقق على أرض الواقع "فقد فكر

[1] - جميلة حنيفي: دور المدرسة في بناء الديمقراطية لدى جون ديوي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية،قسم الآداب والفلسفة، العدد10، جوان2013، ص ص35-36

*الديمقراطية: Democracy"هي نظام سياسي يمارس السيادة فيه الشعب،أي مجموع المواطنين عن طريق الاقتراع العام،وفي شكل عام فإن الديمقراطية كما تفهم في الغرب تقتضي فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية بعضها عن بعض،وتضمن الحقوق الأساسية للكائن البشري، مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، دار أسامة، الأردن، عمان، ط1، 2009،، ص214

[2]- جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن الرحيم، دار مكتبة الحياة، (بيروت-لبنان)، ط2، 1978، ، ص50

"ديوي" في الديمقراطية وعمل على ربطها بالتربية بشكل عملي، فحسب تصوره لكي ينشأ الطفل منذ البداية متشبعا بالقيم الديمقراطية يلزم أن يخضع لتربية تجعله محبا لها"[1].

يتضح أن جون ديوي فتح آفاقا واسعة في دراسته للديمقراطية بجعلها موجودة في كل نواحي الحياة الإنسانية، والشرط الرئيسي لتحقيقها هو ارتباطها بالتربية منذ الطفولة، أي تنشئة اجتماعية وفق قيم الديمقراطية.

يرى ديوي بأن الديمقراطية الصحيحة التي تكون لها نتائج فعالة هي تلك التي تؤمن بقدرات الطبيعة الإنسانية وذكاء الإنسان في مسايرة ظروف عصره وحياته، إضافة إلى أنه لابد من مراعاة الخبرة المشتركة المبنية على المجهودات التعاونية بين أفراد المجتمع، أي أن "ديوي" يجعل من التعاون المشترك داخل المجتمعات وذكاء الإنسان هما أساس بناء مجتمع ديمقراطي.

"ركيزة الديمقراطية هي الإيمان بقدرات الطبيعة الإنسانية والإيمان بالذكاء الإنساني و بقوة وفعالية الخبرة التعاونية المجمعة المشتركة المجمعة لجهود وموارد الجماعة"[2]

وفي سياق آخر، يؤكد "ديوي" بأن الديمقراطية هي أسلوب حياة تقودها الطبيعة الإنسانية وإمكانياتها العملية في تغيير وتطوير الواقع الإنساني وخلق مجتمع ديمقراطي على أسس عملية بامتياز "إن الديمقراطية طريقة حياة يحكمها إيمان عملي بإمكانات وممكنات الطبيعة الإنسانية"[3] فعندما تطبق الديمقراطية على أسس صحيحة وعملية فإنها تساهم في تنمية وتطوير المجتمعات الإنسانية.

ج- الفن:صلته بالعلم والفلسفة عند"جون ديوي":

1. الفن والعلم:

يجمع "جون ديوي" بين العلم والفن حيث أن كل منهما يستخدم رموزا في عمله، فالعالم يستخدم رموز كالأرقام والحروف تدل على معادلات رياضية يشير بها إلى قوانين منظمة، والفنان يستخدم رموزا ليدل بها على العمل الفني، فالفنان والعالم يتمتعان بعملهم عقليا وعاطفيا، وحسب رأيه" الاختلاف بين العلم والفن هو اختلاف في درجة التشبع بالمجال أي في الكم فقط لا في النوع، فيعتبرهما من نوع واحد مكملان لبعضهما البعض، فالفن هو شيء موضوعي وذاتي في آن واحد بالنسبة لجون ديوي، ذاتي يرتبط بالفنان والإنسان الذي يتلقى العمل الفني، وموضوعي لأن الفن هو موضوع يتضمن معنى فني يحدث ارتياحا للإنسان من الناحية العاطفية "إن كلا من الفنان والعالم يستعين بالرموز لأداء مهمة وكلا منهما يتأثر عقليا وعاطفيا بالعمل الذي يقوم به، والاختلاف بين المجالين هو اختلاف في درجة التشبع بالمجال لا في نوع"[4].

---

[1]- رشيد الإدريسي: من أجل تور موسع للتربية والديمقراطية، الأسس والأهداف، المدرسة المغربية، عدد مزدوج7/8،نوفمبر2017 ص38

[2]- زالفان وين: قاموس جون ديوي للتربية، مختارات من مؤلفاته، ترجمة محمد علي العريان، تصدير عبد العزيز سلامة مؤسسة فرانكلين (القاهرة، نيويورك)، دط، 1964، ص111

[3]- المرجع نفسه: ص115

* الفن: "الفن بالمعنى العام جملة من القواعد المتبعة لتحصيل غاية معينة جمالا كانت، وخيرا، ثم ومتنوعة، وإذا استعمل لفظ الفن بصيغة المفرد دل على الحقائق المشتركة بين الأشياء الجميلة وإذا استعمل بصيغة الجمع دل على الوسائل المستعملة للتعبير الخارجي عن الجمال بواسطة الحصول أو الألوان أو الحركات أو الاصوات أو الالفاظ"، أنظر الى: جميل صليبا: المجمع الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، (بيروت-لبنان)، 1982، ص165-166

[4]- نورى جعفر: جون ديوي حياته وفلسفته، مطبعة الزهراء، بغداد، دط، دت، ص48

2. الفن و الفلسفة

يرى "جون ديوي" بأن الفلسفة والفن* متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر من حيث أن كل من الفلسفة والفن يتصلان بالواقع الحسي للإنسان ويدرسان البيئة الاجتماعية ومقوماتها، فالفيلسوف يستخدم الفن في صياغة أشكال سلوكه،والفنان هو فيلسوف عندما يقوم بإنجاز لوحة فنية أو قطعة موسيقية فإنه يقوم بفعل التفلسف من خلال إطلاق العنان لأفكاره وشعوره وإحساسه بتلك اللوحة التي يحاول التعبير من خلالها عن شيء داخلي أي ربط التفكير بالواقع التعليمي،وهذا هو موضوع بحث الفيلسوف، فالفلسفة والفن وجهان لعملة واحدة حسب "جون ديوي".

"إن فهم الفلسفة كما يقول جون ديوي يقر بها كثيرا إلى الفن ذلك لأن الفلسفة تبدأ من الحياة كما يدركها الإنسان وكما يحياها"

هـ- المنطق:

لقد اهتم ديوي بالمنطق* ، حيث حاول إقامة منطق جديد للبحث في مجالات العلوم الطبيعية و العلوم الاجتماعية، بحيث جعل منه وسيلة بحث تساعد الفرد في مواجهة مشكلاته بحثا عن حلها .

" فقد كان ديوي في عصرنا الحاضر من بين من أقاموا منطقا جديدا يصور طرائق البحث في العلوم الطبيعية و العلوم الاجتماعية ، و هو المنطق الذي أطلق عليه اسما فنيا هو « نمط البحث »، قاصدا بكلمة البحث هنا أن ينخرط الإنسان في مسلك عملي يعالج به موقفا مشكلا حتى ينفض إشكاله"[1].

كما قد تحدث عن موقفه من المنطق في العديد من مؤلفاته، فكان يؤكد على ان الفكرة لا تسمى كذلك إلا إذا كانت لها علاقة مباشرة مع صاحبها بأن تحل له الموقف الذي يواجهه .

" وقد بسط ديوي« منطقه البراجماتي» تفصيلا في عدة كتب ، .... و صفوة ما في هذه الكتب كلها أن «الفكرة » - أي فكرة – لا تستحق أن تسمى بهذا الإسم ما لم تكن ذات علاقة وثيقة بموقف ماثل أمام صاحبها "[2].

يرفض ديوي المنطق القديم الأرسطي و ينتقده بشدة، " إن ديوي ليعارض بمنطقه البراجماتي منطق أرسطو معارضة العلم الحديث للعلم القديم "[3].

من خلال مؤلفه المنطق نظرية البحث يعرض ديوي أبرز الاختلافات الموجودة بين المنطق الأرسطي القديم الذي يمثل جملة القوانين الثابتة، و بين المنطق البراغماتي الجديد الذي يسعى إلى تلاؤم الفكرة مع الواقع الإنساني و مدى تحقيقها لغايات و الأهداف الفرد التي تتغير بحسب الظروف .

فالمنطق الذي قصده ديوي هو منطق جديد يتماشى مع مقتضيات العصر .

" لكن غير وجهة النظر، و اجعل موضوع البحث العلمي هو الوجود العقلي المتغير المتطور، و ليس هو بالكشف عن ماهيات ثابتة لأنواع أزلية أبدية"[4].

---

[1]- زكي نجيب محمود : من زاوية فلسفية ، دار الشروق، القاهرة، ط-1 1399 ه-1979 م/ ص222

[2]- المرجع نفسه: ص 223

[3]- جون ديوي: المنطق نظرية البحث، ترجمة و تصدير و تعليق زكي نجيب محمود، تقديم عبد الرشيد الصادق محمودي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، د-ط /2010 – ص 24

[4]- المرجع نفسه، ص 25

* **المنطق** : قانون التفكير الصحيح، أي أن قواعد المنطق و قوانينه بمنزلة المقياس و المعيار و الميزان،.... لهذا قالوا في تعريف المنطق: إنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر- أنظر الى مرتضى المطهري: المنطق، دار الولاء، بيروت، لبنان- ط2، 2011، ص12

لقد اعتمد ديوي على المذهب البراغماتي في نظرته للمنطق، و جعل من الخبرة أساس حل المشكلات، فالخبرة تكون متصلة عبر مراحل حياة الإنسان فتتكون لديه مختلف الخبرات التي ترتبط ببعضها بحيث أن كل جزء منها يؤدي إلى الجزء الذي يليه، و كل مشكلة تواجه الفرد عند حلها تكسبه خبرة جديدة تساعده في حل المشكلة التي تأتي بعدها.

" .... أقول إن أهم ما يتميز به منطق ديوي هو اعتماده على اتصال الخبرة الإنسانية ، فتيار الخبرة متصل، يؤدي كل جزء منها إلى الجزء الذي يليه"[1].

و- تصور ديوي للحرية:

لم تخرج مسألة الحرية* بالنسبة لديوي عن توجهه البراغماتي" ... وقد أراد ديوي أن يدفع الحرية إلى العمل على تطور العلم و الديمقراطية و الشخصية الفردية في العالم الصناعي الحديث مركزا آماله في خلق مجتمع حر حقيقي على عملية تعليمية "[2].

من خلال هذا القول نستطيع فهم النظرة الحقيقية التي صاغها ديوي لمفهوم الحرية ، حيث نظر إليها من منظور المذهب البراغماتي الذرائعي ، فاعتبرها عملية تساعد الإنسان على تحقيق منفعته .

كما قد حاول استبدال النظرة التقليدية لموضوع الحرية، و بالمقابل جاء بنظريات جديدة لتطوير الحرية من خلال دمجها و ربطها بتطور الشخصية الإنسانية و كذا تطور العالم الصناعي و العلم و الديمقراطية، ليساهم كل هذا الارتباط في نشوء مجتمع حر ديمقراطيا ، علميا و فرديا.....

لقد جمع ديوي بين الحرية والواقع الاجتماعي لأن الفصل بينهما يعزل الأخلاق عن المجتمع، فحرية الإنسان تعبر عن أخلاقه.

" ... و كان ديوي يعترض على إستبعاد الحرية من العالم الاجتماعي و حبسها في بعض الثنايا الغامضة في عقل الفرد لأنه كان يظن ان مثل هذا العمل يعزل الأخلاق عن المجتمع"[3]

إن السلوك الاختياري هو سمة تتميز بها كل الكائنات الحية، فحتى الأشياء الصغيرة تتفاعل مع الأشياء بدرجة مختلفة، لذا الحرية هي عبارة عن اختيار مبني على أساس الإدراك و مشاعر الفرد اتجاه الأشياء بحسب اختياراته الشخصية التي تمكنه من تغيير شخصه و ظروف بيئته .

كما أن الحرية لا يكون لها معنى حقيقي إلا إذا تلاءمت مع اختيارات الفرد الذي لابد أن يعتمد على المحيط الاجتماعي.

" و من هنا كانت الحرية اختيارا قائما على الإدراك و المشاعر التي من شأنها أن تمكن المرء من التعالي و التسامي عن بيئته و من تغييرها"[4].

---

[1]- جون ديوي: المنطق نظرية البحث ، ص38

[2]- يول . ف .بولر: الحرية و القدر في الفكر الأمريكي من إدواردز إلى ديوي ، مكتبة الأنجلومصرية القاهرة، دط، دت، ص 279 .

[3]- المرجع نفسه: ص 286.

[4]- يول.ف.بولر: الحرية و القدر في الفكر الأمريكي من إدواردز إلى ديوي، ص291

ز- الديـــــــن:

يعتقد ديوي أن الدين* لا يكون إلهيا، بل نظر إليه نظرة تجريبية، " فالدين عنده دين إنساني، دين طبيعي ليس دينا إلهيا"[1]، فالدين بالنسبة له هو عبارة عن مجموعة التعبيرات التي تشتمل على العادات و الشعائر و المواقف العقلية التي تخص شعب ما القائمة على التعاون بين أفراد المجتمع ، فالدين الحقيقي هو الذي يتلاءم مع الحياة الواقعية العملية .

" فهو يرى: أن كل دين هو تعبير عن عادات، و مواقف عقلية، لأي شعب و شعائره و عباداته التي تتبلور جميعها في الاعتراف بالألوهية و بقداستها ، و بما يعنيه ذلك من مغزى في صدور العلاقات التي تزخر بها هذه الحياة"[2].

لقد جعل ديوي الدين كغيره من القيم يتطور عن طريق الإنسان ، ليس له وجود ثابت و دائم و مؤكد ، بل خاضع للظروف التي يعيشها الفرد انطلاقا من بيئته المحيطة به .

" ... الدين عند ديوي إنساني و هو تجريبي ككل القيم نشأ تجريبيا و يتطور بواسطة الإنسان "[3]

يتضح بأن ديوي الفيلسوف العملي قد ربط الدين بالأخلاق و جعل الخبرة التي يكتسبها الفرد هي الوسيلة التي يتطور بها الدين عن طريق التجارب التي تستند إلى التعاون بين أفراد المجتمع، أي أن ديوي رأى بأن الدين يضعه الإنسان من خلال التجريب لتحقيق التطور و التماشي مع الواقع العملي ، و ينفي أن يكون الدين من مصدر إلهي.

---

[1]- أحلام محمد حكمي: البراجماتية دراسة تحليلة نقدية، جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين و الدعوة بالمنوفية، العدد السادس و الثلاثون ، (1438-2017) ص 30.

* **الدين**: فكلمة الدين التي تستعمل في تاريخ الأديان لها معنيان لا غير، أحدهما هذه الحالة النفسية état subjectif التي نسميها التدين religiosité، و الأخر تلك الحقيقة الخارجية في fait objectif التي يمكن الرجوع اليها في العادات الخارجية أو الأثر الخالدة،... و معناها جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم،إعتقادا أو عملا، و هذا المعنى أكثر و أغلب- أنظر الى محمد عبد الله دراز: الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان، دار القلم ، الكويت، د ط، د س، ص 32.

* الحرية: يقول الفرد أن حر و يعني أنه حر حيث يريد الحرية، يكفي التعبير عن إرادته ليكون حرا بالفعل،... إن الحرية هنا وسيلة لتحقيق هدف معين، تطور أمة، إثراء طبقة إزدهار شخصية، يوجد إذن دافع للمطالبة بالحرية، و هذا الدافع هو المبرر للمطالبة- أنظر الى عبد الله العروي، مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط5 ، 1993 ، ص6

[2]- المرجع نفسه: ص30

[3]- المرجع نفسه : ص31

خلاصة:

من خلال هذا الفصل، نستنتج بأن الفيلسوف الأمريكي "جون ديوي" من أعظم الفلاسفة الذين كان لهم تأثيرا في الفترة المعاصرة، وذلك من خلال اهتمامه بالعديد من المواضيع ذات الصلة بالعلم، وهو كغيره من الفلاسفة كانت له مرجعيات اتخذها بداية لفكره، فقد كان متأثرا "بهيجل" ونظرية التطور لداروين التي كانت بمثابة النقطة الأوسع التي بنى نظرياته انطلاقا منها، ومن خلال فلسفته التربوية رأينا بأنه جعل من التربية وسيلة لإصلاح المجتمع مركزا على دور المدرسة في غرس مفهوم الديمقراطية، حيث رأى بأن التربية والديمقراطية متلازمان، فبالتربية السليمة تتحقق الديمقراطية، ويضيف بأنه إذا تحققت الديمقراطية يمكن الوصول إلى نوع من التقدم والنمو في المجتمع وذلك من خلال السماح لكل الأفراد بالتعبير عن آرائهم بكل حرية ، فقد سعى لإصلاح المجتمع وبناء فكر جديد وفلسفة مغايرة، دون إغفال المكانة التي أفردها للخبرة، فالفن خبرة والتربية خبرة، وكل الممكنات التي يمكن تحقيقها تتكون من الخبرات والتجارب التي يعيشها الفنان والفيلسوف والعالم، فهم يشتركون في مهمة خلق فرص الإبداع والحرية.

الفصل الثالث
فلسفة الأخلاق
عند جون ديوي

الفصل الثالث: فلسفة الأخلاق عند جون ديوي

المبحث الأول: القيمة الاخلاقية ومراحل تطورها

أ- في مفهوم الأخلاق

ب-مراحل تطورها

المبحث الثاني: أصل القيمة الأخلاقية وموقف ديوي منها

أ- القيمة الأخلاقية ذاتية

ب-القيمة الأخلاقية موضوعية

ج- موقف جون ديوي من أصل القيمة الأخلاقية

المبحث الثالث: إخضاع الظاهرة الأخلاقية للمنهج العلمي

المبحث الرابع: المنظور الجديد للأخلاق

تمهيـــد:

لقد تحدثنا فيما سبق عن فلسفة ديوي التربوية، ونظرية الخبرة والديمقراطية والفن و تصوره للحرية و رؤيته الدينية و منطقه الجديد، وفي هذا الفصل نحاول الوقوف على تحليل فلسفة الأخلاق التي اهتم بها في العديد من مؤلفاته، لذا سنحاول تسليط الضوء على أهم الأفكار التي نادى بها في فلسفته الأخلاقية، من خلال طرح التساؤلات التالية: ما مفهوم الأخلاق؟ وما هي وظيفتها؟ وما موقفه من القيمة الأخلاقية وكيف أخضع المشكلة الأخلاقية للمنهج العلمي؟ وما هو المفهوم الجديد الذي صاغه "ديوي" للأخلاق؟

المبحث الأول: الأخلاق ومراحل تطورها عند جون ديوي:

أ- <u>في مفهوم الأخلاق:</u>

إذا كان ديوي قد اهتم بمواضيع متنوعة ميزها الطابع الواقعي العلمي لفلسفته، فكيف صاغ مفهوم جديد للأخلاق؟

عند تعريفه للأخلاق في كتابه "الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني" قال: "فالأخلاق تتعلق بصفة عامة بالسيطرة على الطبيعة البشرية"[1].

بمعنى أن ديوي رأى بأن الأخلاق تتعلق بالطبيعة الإنسانية من خلال مجموعة الصفات والسلوكات الإنسانية التي تصدر عن البشر، ويؤكد في نفس الوقت بأن مصدر الأخلاق الأول والأساسي هو الوقائع والأحداث التي تحدث في الحياة الاجتماعية، فهو لا ينكر دور المجتمع والوسط الذي يعيش فيه الإنسان في صياغة الأخلاق: "يوافق ديوي على أن حقائق الحياة الاجتماعية يجب أن تكون نقطة الانطلاق والأساس لأية أخلاق حقيقية مرتبطة بعمل اجتماعي فعال"[2]

فهي ترتبط بالسلوك الإنساني ونتائجه والوسط الاجتماعي، كما يرى بأن الأخلاق هي ظاهرة كبقية الظواهر الأخرى لها نتائجها وهذه النتائج بالتأكيد يكون مصدرها الواقع الملموس، فقد أخرج الأخلاق من مفهومها المتعلق بمعايير مفارقة ومطلقة إلى ظاهرة تشترك مع الظواهر الأخرى، بحيث ساوى بينها وبين الظواهر الأخرى كالعلم، القانون، السياسة "إن ديوي يرى في الأخلاق فعالية ظاهرة لها نتائج بدلا من كونها مجرد صفة شخصية داخلية"[3].

يقول ديوي: "أصبحت النتائج والسلوك هي الأمور التي يعتد بها لأنها تمدنا بالمعيار الوحيد للأخلاق"[4].

فما يمكن أن نطلق عليه أخلاقا حسب ديوي هو عندما تكون السلوكات والأفعال لها نتائج يمكن الرجوع إليها من خلال الوقائع الحياتية أي الآثار الملموسة، تكون لها نتائج ظاهرة تحقق الانسجام مع المبادئ التي بنيت عليها، حيث تهتم فلسفة ديوي القيمية بتلبية وتحقيق مطالب وغايات جديدة تنشأ من خلال الخبرة التي جعلها وسيلة لتحقيق النمو والتطور في مختلف الأصعدة وذلك بالنظر إلى الإمكانيات التي تحملها الخبرة كسبيل كفيل للمطابقة بين ما هو عقلي عملي، حيث جمع بين النظر والعمل، كما أكد على ضرورة بناء الأخلاق من خلالهما معا، ورأى بأن الأخلاق تبنى من المدرسة في التعليم والضبط لتحقيق منظومة أخلاقية تربوية سليمة.

فالأخلاق حسب ديوي هي أداة لتنظيم المجتمع تنظيما جديدا، كما أنها ليست مستقلة ومنفصلة، بل هي جزء من الطبيعة الإنسانية تتعلق بالأمور الإنسانية، كما أنها ليست بمعزل عن وظائف الطب العام وعلم النفس

---

[1]-جون ديوي: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ترجمة: محمد لبيب النجيحي، مؤسسة فرانكلين القاهرة،نيويورك، دط،1963،ص26.

[2]-ليون تروتسكي وجون ديوي: أخلاقهم وأخلاقنا، وجهتا النظر الماركسية و الليبرالية في المثل الأخلاقية، ترجمة: سمير عبده،دار الآفاق الجديدة بيروت،النسخ الإلكتروني، جريدة المناضلwww.almenadil-a-info،ص75.

[3]- المرجع السابق، ص64.

[4]-جون ديوي: الديمقراطية والتربية، ترجمة: منى عفراوي وزكريا ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة، دط، 1946، ص356.

وغيرها، بل هي متطابقة مع البحث الأخلاقي، بمعنى أدق أنه ساوى بين الأخلاق ومختلف العلوم الأخرى، بحيث جعلها مرتبطة بها ومعها في الأهداف والغايات، فكل منهما يهدف إلى فهم وتفسير الطبيعة البشرية، "فإن كل ما يمكن معرفته عن النفس الإنسانية والجسم الإنساني في عالم وظائف الطب والأنثروبولوجيا وعلم النفس يكون ملائما للبحث الأخلاقي"[5].

فالأخلاق ترتبط بكل أنواع السلوكات التي تدخل فيها إمكانية الاختيار بين أمرين كالعادة، الذكاء، الدافعية، الحرية، الرغبة، الإرادة)، فجعل الأخلاق متعلقة بأنواع السلوكات التي تصدر عن الطبيعة الإنسانية أي أن الأخلاق هي عبارة عن نمو للتفاعلات التي تحدثها السلوكات الإنسانية، ويقصد ديوي من النمو تحقيق التقدم والتطور في كل الميادين، كما يعترف بأن الأخلاق إنسانية تخص الطبيعة الإنسانية واجتماعية لأنها ناتجة عن تفاعل الفرد مع بيئته ويعتبر هذا الرأي مناقضا لكل الاتجاهات السابقة، التي تفصل الفرد عن بيئته الاجتماعية، "وتبدأ الأخلاق السليمة تظهر عند استخدام القانون الطبيعي استخداما ذكيا يضمن إدراك الحقيقة والعمل على تحسين الظروف وتغييرها لتحقيق التقدم والنمو "ليس هناك قيم نهائية منصوص عليها، ولا ينبغي البحث عن أي منها، فإن القيمة الوحيدة التي كان يشير إليها هي النمو، الأخلاق تعني البحث في ظروف واقعية وإشكالية"[6] ينتقد "ديوي" وبشدة النظريات التقليدية التي ترى بأن القيم الأخلاقية تكون ثابتة ومطلقة فيرى بأنه لا يجب البحث عن قيم نهائية، تبنى الأخلاق عن طريق الخبرة، الأخلاق التي من خلالها يتحقق التقدم والتطور الإنساني كما يرى بأنه لا وجود للفضائل، فالفضيلة الوحيدة التي نادى بها هي "فضيلة النمو"، أي أن ديوي جعل من الأخلاق أداة للنمو في إطار منهج الخبرة التي تدفع البشر لتحصيل النمو والتقدم الأخلاقي، ضمن ظروف واقعية يعيشها الإنسان تمكنه من البحث والعمل على وضع أخلاق تجريبية تزيح النمط الإرشادي الذي كان يلتصق بالأخلاق.

كما أن الأخلاق عند "ديوي" هي عبارة عن بحث للنظام والتوازن لتحقيق التقدم الإنساني والانسجام مع المجتمع الذي يعيش فيه.

كذلك هي تعتبر محاولة للقضاء على الفوضى الموجودة في البيئة المجتمعية، يقوم ديوي بتحليل الموقف الأخلاقي انطلاقا من تحليل السلوكات الإنسانية التي تنجم عن الطبيعة الإنسانية التي يرى بأنها تفاعل بين ما هو طبيعي يخص القوى الداخلية للإنسان، ومن خلال هذا التفاعل يظهر السلوك الأخلاقي الذي يحقق نتائج في المستقبل.

ففيلسوف التربية "ديوي" بالتأكيد قد ربط الأخلاق ومفاهيمها ونظرياتها مرتبطة بسوء التربية، أي أنه إذا تكونت التربية السليمة للأفراد سوف تتحقق بالتأكيد الأخلاق الفعالة التي تضمن التقدم في المستقبل "أحكام القيمة هي أحكام عن شروط الأشياء المجربة ونتائجها، أحكام عما يجب أن ينظم تكوين رغباتنا ومحبوباتنا ومتعنا، لأن أي شيء يقرر مصير تكوينها سيحدد الطريق الأساسي لسلوكنا الشخصي والاجتماعي"[7].

إذن، يمكننا القول بأن ديوي يجعل من الأحكام الأخلاقية نتيجة للتجارب والخبرات التي تواجه الإنسان بحيث تعمل هذه التجارب على تنظيم سلوكه سواء الشخصي أو الاجتماعي، أي أن الخبرة عامل أساسي في إصدار الأحكام الأخلاقية التي يضعها الأفراد بناء على ميولاتهم ورغباتهم التي تتناسب مع تجاربهم الشخصية.

ب- مراحل تطور الأخلاق عند "جون ديوي":

---

[5]- صلاح قنصوة: نظرية القيمة في الفكر المعاصر، دار الثقافة، القاهرة، دط،1986،ص155

[6]- ديفيد هيلدبراند: جون ديوي، موسوعة ستانفورد للفلسفة، ترجمة: ناصر الحلواني،مرجعة سيرين الحاج حسين،مجلة حكمة،ص44

[7]-جون ديوي: البحث عن اليقين، ترجمة وتقديم: أحمد فؤاد الأهواني، تقديم هذه الطبيعة، محمد مدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، دط،2015، ص293

لقد مرت الأخلاق في تطورها حسب "جون ديوي" عبر مراحل مختلفة يمكن ضبطها في مرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: تمثلت في "الأخلاق العرفية" والمرحلة الثانية: تمثلت في الأخلاق التأملية(الفردية):

وقبل التطرق إلى هذه المراحل، لابد من الحديث عن نزعة "ديوي" في الأخلاق البراغماتية بما أنه فيلسوف براغماتي، حيث يجعل من النتائج التي تحققها آثار ونتائج الفعل أساس قبوله أو رفضه، وهي الفكرة التي أسقطها على نظريته الأخلاقية، فجعل الأخلاق الصحيحة هي التي تحقق ذات الإنسان بما يتماشى مع متطلبات الواقع، وسوف نعرج للحديث عن:

1-الأخلاق العرفية: يقول جون ديوي "الأخلاق التي تعتمد على العرف هي أخلاق فاسدة، فالأخلاق التي تغفل صراحة الطبيعة الإنسانية وتبالغ في تأكيد غريزة القطيع تصل إلى المطابقة بين الجميع"[8].

هي الأخلاق التي يكون فيها المجتمع هو المسؤول والموجّه للقيم الأخلاقية أي أن الأخلاق تكون مبنية على أساس العرف، بحيث تجعل الجماعة خاضعة لأحكامها وقوانينها، فتكون الأخلاق العرفية حسب جون ديوي هي مجموعة من القوانين المنصوص على كل أفراد المجتمع التي يضعها العرف او الدين...وينبغي على كل الأفراد الخضوع لها وطاعتها.

"حيث يصف "جون ديوي" هذه الأخلاق بأنها أخلاق فاسدة لأنها لا تراعي الطبيعة الإنسانية وتعمل على تزييفها وتقييدها، ويصبح الإنسان مكبل بالعادات التي يستمدها من أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها فتفرض عليه الامتثال لقوانينها وأخلاقها"[9]

فالأخلاق العرفية تنظر إلى الأخلاق على أنها مجموعة من العادات والسلوكات التي يكتسبها الفرد من المجتمع، فالفرد وحده لا يمكنه وضع قيم أخلاقية صحيحة لأنها نابعة من الذات الإنسانية التي تستجيب لذاتها ونفسها فقط، وتغض النظر عن الآخرين لذا فأحكام أصحاب هذا الاتجاه بضرورة وضع قواعد مشتركة بين جميع الأفراد لضمان الانسجام داخل المجتمع، لكن هذا ليس صحيحا في نظر "جون ديوي" لأنها تقوم بإخضاع الجميع لنفس السلوكات مع إغفال القدرات والخصائص التي يتميز بها كل فرد عن الآخر.

فحسب "جون ديوي" تقوم الأخلاق العرفية المبينة على أساس العادات والأعراف والتقاليد الموروثة في المجتمعات عبر الأجيال هذه الأخيرة تقوم بالتأثير على العادة ومختلف السلوكات القيمية التي تصدر عن الفرد فيصبح تابعا لذلك العرف الاجتماعي الذي يفرض عليه التمسك بها وعدم معاكستها في أي أمر وفي هذا سلب لحرية الإنسان بل للطبيعة الإنسانية وما يطرأ عنها من سلوكات تكون خاضعة للفرد وميولاته. لذا يقول "ديوي": "وحيث تتوفر المخاوف، فإن الفردية القوية والباسلة تتعرض للانهيار"[10].

أي أن الفرد يكون تابع بمجموعة من الضوابط يخاف مخالفتها والخروج عنها تفرض عليه التمسك بها، وهنا يقصد ديوي المجتمع الذي يقوم بالتأثير على الطبيعة الإنسانية وفي هذه الحالة يتعرض الأفراد للانهيار وتنتهي فردية الأشخاص وتختفي الطبيعة الفريدة لكل شخص.

فالأخلاق العرفية والاجتماعية تؤكد بأن الأفراد لا يحققون ذواتهم إلا إذا انسجمت أفكارهم وقيمهم مع المجتمع والعصر الذي يوجدوا فيه.

" ولا يمكن للأفراد أن يجدوا أنفسهم من جديد، إلا أذا انسجمت أفكارهم ومثلهم مع حقائق العصر الذي يعملون فيه"[11].

---

[8]-جون ديوي: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص29

[9]- المرجع السابق: ص 38

[10]-جون ديوي: الفردية قديما وحديثا، ترجمة: خيري حماد، مراجعة: مروان الجابري، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط،1920-53،1930

[11]-جون ديوي: الفردية قديما وحديثا، ص67

أي أن الفرد لا يمكنه وضع قواعد أخلاقية تخصه بل يجب أن تكون هذه القواعد منسجمة مع المجتمع والبيئة (الوسط) الذي يعيش فيه الفرد..

فالأخلاق العرفية يكون مصدرها المجتمع والعرف والعادات الاجتماعية التي يقوم بها جميع الأفراد دون المشاركة في وضعها أو تقييمها أو محاولة تغييرها حسب ديوي.

2-الأخلاق التأملية(الفردية):

لقد اعتبر "جون ديوي" أن الأخلاق تبدأ أولا مع الأخلاق العرفية التي يكون المجتمع هو المسؤول عن وضعها، لأن الفرد يعيش داخل بيئة وجب عليه أن يكون منسجما وخاضعا لقوانينها وقواعدها القيمية أو غيرها، فهذا النوع من الأخلاق يكون فيه أثر العرف على العادة هو المسيطر على الإنسان في هذه المرحلة يكون الفرد مرتبط ارتباطا كبيرا بالأعراف والعادات الاجتماعية، هذا بالنسبة للمرحلة الأولى، إلا أن هذه النظرة تتحول فيما بعد وتنتقل حسب "ديوي" إلى مرحلة ثانية: وهي "مرحلة الأخلاق الفردية".

في هذه المرحلة تصبح الأخلاق متصلة بالفرد وليس بالجماعة، حيث يكون الفرد حر في اختيار أحكامه الخلقية، لأن الأخلاق الجماعية معرقلة لنمو الفردية حسب "ديوي"، ففي هذه المرحلة يتحرر الفرد من القيود التي كانت مفروضة عليه من الجماعة التي تحتم عليه ماذا يفعل، فهي قضت على الخصائص الغريزية والقدرات المتنوعة التي يتميز بها كل فرد عن الآخرين، بل إنها سرقت الصفات الموجودة داخل الطبيعة الإنسانية لأن الإنسان لابد أن يكون حر في اختيار جميع أفعاله وسلوكاته ليكون فرد سليم من كل الضغوطات والاضطرابات التي يمكن أن تمس نفسيته وشخصيته.

"وإذا ما جمعت المقالات التي كتبت عن تراضي السنن الأخلاقية التقليدية البشرية، ويرى أصحاب هذا المذهب أن الطبيعة كما يمارسها الفنانون....قد قضت على الشرائع الداخلية الغريزية"[12].

أي أن "جون ديوي" يقصد بهذا القول بأن الأخلاق العرفية قد قضت على الطبيعة البشرية وما تحتويه من سلوكات كالإرادة، الدافعية، الذكاء، التي تميز الفرد عن غيره لأنها تختلف من إنسان لآخر، لذا لابد من ترك الأفراد يقررون مصيرهم بما يتناسب مع ميولاتهم وحرياتهم الشخصية حسب ديوي.

فالأخلاق في نظر "ديوي" ليست مرتبطة بالمجتمع فقط، فهي إنجاز فردي تتعلق بالفرد، حيث ينشأ الفرد داخل المجتمع وشيء طبيعي أن يتأثر بأخلاق مجتمعه، لكي يصل الإنسان إلى مرحلة يصبح فيها خالقا لأخلاقه في اختيار ردود أفعاله التي تتناسب مع السلوكات التي تصدر من الطبيعة الإنسانية التي يتميز بها كل فرد عن الآخرين، لذا يرى "ديوي" بأن للفرد حرية في اختيار ردود أفعاله وأحكامه الخلقية.

المبحث الثاني: أصل القيمة الأخلاقية وموقف "ديوي" منها:

لقد شغلت مسألة القيم مكانة هامة في الفكر الفلسفي الأخلاقي، فقد اهتم بها الباحثين والمفكرين والفلاسفة لأنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالإنسان الذي يعد محور الدراسات والأبحاث منذ القديم، فتاريخ البحث في فكرة القيمة الأخلاقية قد انبثق من الفلسفات اليونانية التي تبحث في قيم الخير والحق والجمال، لذلك تعددت الأبحاث الفلسفية وتباينت الآراء والمواقف حول طبيعة القيمة الأخلاقية فيما يتعلق بوجودها الموضوعي المطلق لخضوعه للمبادئ العقلية المطلقة وأنها واحدة ثابتة في كل زمان ومكان، وبين وجودها النسبي المتغير، بمعنى أنها تختلف من شخص لآخر وتتغير من مكان لآخر، فالباحث في مجال الأخلاق يجد نفسه أمام العديد من التساؤلات فيما يخص طبيعة الخير والشر هل هي طبيعة ذاتية، أم موضوعية وما موقف جون ديوي منها:

أ-القيمة الأخلاقية ذاتية:

[12]- جون ديوي: الفردية قديما وحديثا، ص64

إن القيمة الأخلاقية نسبية متغيرة تختلف من فرد إلى آخر وتتغير بتغير الشعوب والمجتمعات، فلكل شعب أخلاقه الخاصة، فهناك أفراد لا يستطيعون التمييز بين المبادئ الأخلاقية بين الخير والشر لذلك فغايتها تختلف باختلاف الزمان والمكان ونجد هذا الموقف عند أنصار التيار النفعي والتجريبيين بالإضافة إلى الوضعيين، فنجد هذا الموقف في العصر اليوناني عند السوفسطائيين "رأى السوفسطائيون أن طبيعة الإنسان تتمثل في شهواته وأهوائه وأن قوانين الأخلاق ومثلها العليا تتنافى مع الطبيعة الإنسانية"[13]. فالإنسان يسعى إلى تحقيق لذة فيتجه نحو إشباع رغباته وأهوائه بغض النظر عن ما يحققه من خير أو شر، كما اعتبر السوفسطائية بأن الإنسان مقياس الأشياء جميعا، لذلك فالأخلاق تختلف من شخص لآخر وتتصف بالذاتية "الإنسان مقياس الأشياء كلها إنه مقياس الأشياء الموجودة من حيث هي موجودة...ومن حيث هي غير موجودة"[14].

فالأفعال الإنسانية خير بمقدار ما تحققه من لذة وتقي من ألم وتكون شرا بعكس ذلك فتجرد الإنسان من الألم وسعيه نحو تحقيق لذة فهي غاية كل كائن حي.

وهكذا اعتبر المذهب النفعي "اللذة الوحيدة التي تهدف لتحقيقها غاية الإنسان والمستوى التي تقاس به أفعال الإنسان والمقياس الذي تصدر بمقتضاه أحكامنا الخلقية"[15].

لذلك نجد "جون بول سارتر" قد أقر بأن مبدأ المنفعة غاية لكل سلوك أخلاقي، فالأفعال الإنسانية نحكم على خيرها وشرها بناء على ما تحققه من منافع للإنسان وتدفع من مضار حيث تقر بأن "الخير الأقصى هو أساس الأخلاقية"[16].

لذلك فالإنسان يقوم بأفعاله من أجل غاية يصبو إليها ويجب أن تستند قواعد الفعل الأخلاقي على هذه الغاية، لذلك فالحكم الأخلاقي على الأفعال الإنسانية يصدر بناء على هذه الغاية أو المنفعة دون الأخذ بعين الاعتبار خيرية أو عدم خيرية هذا الفعل، وإنما بناء على ما يحققه من منافع وغايات تتماشى مع أهواء الفرد.

نجد أيضا من دعاة النسبية، الفلاسفة الوضعيون الذين اعتبروا الظواهر الخلقية مجرد وقائع اجتماعية تقبل الوصف والتحليل والتصنيف وبدليل ذلك اختلاف الأخلاق من شعب لآخر فلكل شعب أخلاقه الخاصة التي عملت على تحديدها ظروف اجتماعية معينة.

والجدير بالذكر أن دعاة المدرسة الاجتماعية الفرنسية "نظروا إلى الظاهرة الخلقية على أنها واقعية حتمية ضرورية يمكن التعرف على أسبابها بالرجوع إلى الظروف الاجتماعية التي أحاطت بهذا المجتمع"[17] وبالتالي فالأخلاق هي عبارة عن دراسة وضعية لتلك القوى الخارجية التي تؤثر في سلوك الناس في بيئة معينة، لذلك أرادوا إخضاع الأخلاق للمنهج التجريبي الاستقرائي الذي يقوم على الملاحظة والتجربة.

ب-القيمة الأخلاقية موضوعية:

يفترض هذا الاتجاه أن القيمة الأخلاقية واحدة صالحة في كل زمان ومكان، فالأخلاق ثابتة، مثل هذا الموقف الاتجاه العقلي المثالي الذي يبحث في ما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني، فأرادوا تأسيس المبادئ الأخلاقية قائمة على مبدأ العقل، فالعقل الإنساني يلتمس الرقي وينشد الكمال فالإنسان يمتاز عن سائر الكائنات بالعقل ومثل هذا الاتجاه أكبر فلاسفة اليونان فقد جعل هيرقليطسHeraclitusالفعل النبيل خضوعه لقانون العقل ونجد أيضا أكبر فلاسفة اليونان من بينهم سقراط socrate وأفلاطونplatonوارسطو وقد كان موقفهم ردا على موقف السوفسطائية الذين رأوا أن طبيعة الإنسان تتمثل في شهواته وأهوائه"[18].

---

[13]-ابراهيم عبد المجيد اللبان: توفيق الطويل: مشكلات فلسفية، وزارة التربية والتعليم، القاهرة،1954 ، ص22

[14]-توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1،1953، ص131

[15]- توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، ص144

[16]- المرجع نفسه: ص132

[17]- زكريا ابراهيم: المشكلة الخلقية،مكتبة مصر، دط،1975، ص79.

[18]- إبراهيم اللبان، توفيق الطويل: مشكلات فلسفية، ص23.

كما ذهب سقراط إلى القول: "بأن الطبيعة البشرية عقل وأن الأخلاق مصدرها العقل"[19]،فالعقل يلعب دور المسيطر او الضابط للشهوات ورغبات الإنسان، لأنه أصلال قانون الأخلاقي الذي ينظم حياة البشر.

لذلك فإن القيمة الأخلاقية موضوعية كامنة في طبيعة الأشياء مستقلة عن أحكامنا الذاتية فالأخلاق تتصف بالثبات والموضوعية فهي لا ترتبط بزمان ومكان ولا تختلف من مكان لآخر ولا من فرد لآخر.

"فالقيم موضوعية قائمة بذاتها أما إدراكنا لها فهو أشبه ما يكون بعملية ذهنية تتغير بتغير الزاوية التي نوجه منها أبصارنا إلى تلك القيم، بدليل أنها تفرض نفسها على كل وجدان بشري بطريقة أولية حدسية"[20].

فالإنسان يدرك أنه كائن مفكر وواع، ويعرف الخير بما يتلاءم مع طبيعته العاقلة التي فطر عليها لذلك نجده يتجه نحو الخير ويتجنب فعل الشر نظرا لطبيعته العاقلة.

ونجد هذا الموقف عند الرواقية، حيث ربطت القيمة الأخلاقية بالعقل، فقد كان شعار الرواقية "عش على وفاق مع الطبيعة أي بمقتضى العقل"[21]، فقد اعتبروا العقل مرشد حياتهم الصادق، فقد هاجموا الجانب الحسي في طبيعة البشر واحتقروا اللذات لذلك عملت الرواقية على إرشاد الإنسان إلى ضبط الانفعالات والأهواء لأن سعادة الإنسان والفضيلة تتحقق إذا سيطر الإنسان بعقله عاش سعيدا فاضلا خيرا.

ج-موقف جون ديوي من طبيعة القيمة الأخلاقية:

ينطلق جون ديوي في بناء موقفه من نقد الفلاسفة الذين يضعون حدا فاصلا بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي، ويتخذ بذلك موقفا وسطا، فالأخلاق لا تتصف بالمطلقية والتعالي والثبات كما يدعي المثاليون ذلك، ولا يقبل الواقع كما هو دون تغييره كما ذهب الواقعيون،" فيتناول هذا الواقع نفسه بالتغيير ليسير نحو قيم خلقها الإنسان لنفسه بوحي من ظروفه وتلك هي الأخلاق التجريبية كما فهمها ديوي"[22]، وهنا نشهد الاتجاه الآداتي في شتى الميادين بما فيها الأخلاق، فالأفكار الأخلاقية بمثابة أدوات تتحقق في الواقع بالعمل والفعل، لذلك عمل على التوحيد بينهما، وجعل الأخلاق من صنع الإنسان، وجعل العقل فقط المعيار والمقياس للقيم الأخلاقية سيجعل الأخلاق بعيدة عن عالمنا الواقعي فتصبح مثالية متعالية ويصبح التركيز على الإصلاح الذاتي دون الأخذ بالاعتبار للنتائج الموضوعية المترتبة على الفعل الأخلاقي وبالتالي ينفصل عن العالم الواقعي الذي نعيشه " لذلك فالأخلاق هي أقرب المواد جميعا إلى الطبيعة الإنسانية...وهذا الطبيعة الإنسانية تقيس وتعمل في بيئته"[23].

كما أن الدوافع الإنسانية تكسب الإنسان عادات جديدة من خلال التفاعل مع بيئات مختلفة حيث تشكل الدوافع من التقاليد وهي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها المجتمع ومنها يتطور لذلك " فالعادة كما يقول "ديوي" تحتاج إلى تعاون بين الكائن الحي وبيئته فلا يستطيع أن تتصور تكوين عادة من العادات دون أن يكون هناك فرد إنساني من ناحية وبيئة محيطة من ناحية أخرى"[24]،لذلك رفض ديوي الفصل بين الذات والواقع وجعل القيم الأخلاقية تختص بها الذات دون غيرها وفي المقابل جعل الفضائل والرذائل نتيجة لتكييف الفرد وقدراته مع البيئة المحيطة وليست من الممتلكات الذاتية للفرد كما يقول "ديوي" ما هي "إلا أنواع من التفاعل بين عناصر وسيهم فيها التكوين العام للفرد وبين عناصر أخرى يهتم بها العالم الخارجي"[25]،لذلك فالأخلاق

---

[19]-المرجع نفسه، ص24

[20]-زكرياء إبراهيم: المشكلة الخلقية ،ص77

[21]- إبراهيم عبد المجيد اللبان: توفيق الطويل، مشكلات فلسفية، ص27

[22]- زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، ص175.

[23]- جون ديوي: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص2.

[24]- المصدر نفسه ،ص160.

[25]- المصدر نفسه، ص2.

ترتبط بالسلوك فهي عملية مستمرة ودائمة تنمو وتتطور، وبالتالي خيرية الأفعال تتحقق من خلال أعمال الإنسان في بيئته وينفي وجود خير ثابت أو شر مطلق.

كما أن الأخلاق أو القيمة الأخلاقية كميدان فلسفي ليست قائمة بذاتها بعيدة عن المعرفة التجريبية، بل وضعت في قالب اجتماعي إنشائي حتى تمكن الإنسان من توجيهه عمليا بما يتلائم مع القيم الصحيحة "فالأخلاق ليست ميدانا منفردا بذاتها ولكنها معرفة مادية بيولوجية تاريخية وضعت في محتوى إنساني حيث تضيء مناشط الإنسان وترشدها"[26]، كما أن علاقة التفاعل مع الآخرين تجعل من الأخلاق اجتماعية أو بمعنى آخر أن الأخلاق لا تنحصر في الضمير الداخلي للفرد بينه وبين نفسه، " لذلك الحكم الأخلاقي والمسؤولية الأخلاقية هما العمل الذي تخلفه البيئة داخل أنفسنا"[27]، فالإنسان مسؤول أمام الآخرين عن نتائج أفعاله، وبالتالي فالأخلاق تتعلق بالإنسان والمجتمع الذي يعيش فيه فهي اجتماعية من جهة الواقع تعبر عن ما هو سلوك الناس وغرضها أن تضع على نحو عام الفارق بين السلوك الحميد والسلوك السيئ وبذلك تكون" المهمة الأولى للأخلاق هي أن تتفهم طبيعة هذه الكائنات العضوية البيولوجية التي يتألف من مجموع سلوكها الاجتماعي"[28].

المبحث الثالث: إخضاع الظاهرة الأخلاقية للمنهج العلمي

لقد اتخذ "جون ديوي" من المنهج التجريبي حجر الأساس الذي تقوم عليه فلسفته، فقد آمن بشكل كبير بمكانة العلم وما حققه من منجزات في شتى مجالات الحياة، لذلك نظر للعلم على أنه منهج للبحث في السلوك الإنساني أيضا، فقد اتجه إلى جعل الظواهر الاجتماعية محل التجريب بل في رأيه كل شيء يستطيع أن يخضع للتجريب، فلم يكتفي جون ديوي بالاعتراف بمكانة هذا المنهج في حقل العلوم الطبيعية فقط، بل حاول نقله والاستفادة من صرامته في ميدان الأخلاق لذلك رأى ديوي "أن تأثير العلم في كل من الوسائل والغايات لا يكون مباشرا إلا في الأفراد، على حين تأثيره يتم بطريقة غير مباشرة في اندماجه في الثقافة، كما أن العلم قد خلق في بعض الناس أخلاقيات ومعنويات جديدة"[29]، وهذا ما يخلفه العلم ونتائجه على روح الفرد وأخلاقياته من حيث هز كائن اجتماعي.

نجد أن "جون ديوي" يوحد بين طبيعة الحكم العلمي والخلقي، فالعواقب مثلا لابد أن ترتبط بالكليات العامة للمجتمع فنختبر سلوك الفرد بناء على نتائج في الواقع المعاش، فإن الأخلاق التي نصوغ أحكامها القيمية على أساس العواقب يجب أن تعتمد بطريقة أوثق على نتائج العلم، لأن المعرفة بالعلاقات بين المتغيرات...تمكننا من ربط الأشياء كأسباب ومسببات في العلم"[30]، كما أن القانون الأخلاقي عند ديوي شأنه شأن القانون العلمي، فالإنسان يتأقلم ويواكب الظروف والأفعال بناء على النتائج لأن النتائج أصح و أسلم من تلك القوانين الثابتة، فتأسيس القيم الأخلاقية بناء على النتائج يجدد السعي لاختيار أفعال جديدة مما يعني نمو وتطور دائم، فإخضاع الأخلاق للأسلوب العلمي يجعلها تقوم على قوانين منهجية خاضعة للتفسير والتجريب من أجل نمو وتطور السلوك إلى الأفضل لذلك، " فالاختيار القائم على النتائج أضبط من ذلك الذي يعتمد على قواعد عامة ثابتة، أضف إلى ذلك أن مثل هذا الاختبار يحقق تقدما مستمرا لأننا حين نختبر أفعالا جديدة نجرب نتائج جديدة"[31]، لذلك اعتقد فيلسوفنا أن تلك المثل العليا التي تعبر عن ما ينبغي أن يكون هي إنكار وعرقلة للنمو والتطور.

فحسب "جون ديوي"، العلم مرتبط بحياة الإنسان الواقعية ومشاكله حيث يتجه الإنسان مباشرة إلى التجربة والعمل لذلك أراد تطبيق المنهج العلمي القائم على الفروض والتجربة على القيم الأخلاقية لأن الإنسان

---

[26]- جون ديوي: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص17.
[27]- المصدر نفسه، ص17.
[28]- فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص121.
[29]- جون ديوي: الحرية والثقافة، ترجمة: أمير مرسي قنديل، مطبعة التخزين،الاسكندرية 2003 ، ص176-181.
[30]- جون ديوي: البحث عن اليقين، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، دط،2015، ص302
[31]- المصدر نفسه، ص307

لا نستطيع فصله عن العالم الخارجي فهو يولد وسط عادات وتقاليد يستقي منها قيمه ويختبر صحة سلوكه بناء على نتائج محققة في الواقع وبالتالي نثري صحة خبراتنا لتأسيس خبرات جديدة تساعد على النمو الأخلاقي والابتعاد عن الفكر المجرد من خلال استخدام الأفكار أي الفروض كأدوات تتحقق بالتجربة أو الخبرة في الواقع.

الأحكام الأخلاقية في نظر "ديوي" موضوعية، وليدة الواقع الاجتماعي للإنسان، تعتمد على التفكير العلمي من خلال الاختبار، وبالتالي الانتظام والتوازن اللذان يوجهان سلوك الفرد مما يعني أن الفرد حر في اختيار أفعاله وبالتالي مسؤول وهذا ما يجعل المعايير الخلقية متطورة، لأن الفرد يصبح قادر على تنمية جانبه الأخلاقي لهذا فإن "هذا المنهج هو الخطة الوحيدة التي يمكن بها أن تصاغ الشرور الخلقية صياغة موضوعية، أي أن تصاغ على أساس العناصر التي نختارها ونرتبها"[32].

يعتقد "ديوي" أن الأحكام الخلقية فروض أي أفكار توجه السلوك الإنساني بناءا على ما تحققه من غايات في الواقع ولا يتحقق إلى بالاختبار وبالتالي فإن فيلسوفنا قد أخضع الأخلاق إلى المنهج العلمي حتى يتسنى للإنسان حل مشاكله عن طريق البحث العلمي انطلاقا من تحديد المشكلة أو الصعوبات ثم وضع خطط عن طريق صياغة الفروض ثم التجريب العملي لتلك الأفكار أو الفروض للوصول إلى حل للمشاكل الإنسانية، " فالأخلاق تحتاج إلى مناهج بحث وإلى التدبر والابتكار، يتم بمناهج البحث تحديد مواضع الصعوبات وأماكن الشر وتحاول عملية الابتكار تشكيل الخطط التي يتم استخدامها كفروض عامة للمعالجة هذه الصعوبات"[33].

حيث يقول "التجربة الواعية هي بالضبط العناصر الانتقائية التي تتدخل في أخذ بعض الأشياء الممثلة لأشياء أخرى"[34]

بمعنى أن التجربة التي يكون مصدرها الوعي والخبرة الإنسانية هي الوسيلة التي تعمل على ضبط واختيار الأشياء التي تتحكم فيها التجربة الواعية حسب "جون ديوي"

"وأن الغاية المراد بلوغها أي الغايات التي نضعها نصب أنظارنا هي من طبيعة الفروض، وأن الفروض يجب أن تكون وتختبر مع مراعاة دقيقة لارتباطها بظروف الوجود الواقعي باعتبار هذه الظروف هي الوسائل المؤدية إلى تلك الغايات"[35].

كما أن أحكامنا العقلية لا يمكن الأخذ بها والثقة فيها إلا عندما يتم اختبارها عن طريق العمل والفعل، فكل فعل أخلاقي نحكم عليه ونقرر صدقه إذا اختبر عمليا في الواقع، وهذا يطابق الأحكام العلمية النابعة هي أيضا من الخبرة الإنسانية، لذلك فمشكلات البحث هذه هي تصورات عقلية من خلال عملية البحث تصور بها تلك المتاعب والصعاب العملية التي سبقت "وما ننهي إليه من قرارات عقلية لا يمكن اختباره وقبوله إلى بآرائنا لفعل ما ينصب على المواقف الوجودية، المشكلة التي كانت هي المصدر التي نشأت عن قراراتنا العقلية تلك"[36]،وبالتالي فوجود مشاكل اجتماعية يعني وجود أفكار فالمشكلة هي الأساس الذي نشأ منه اختياراتنا بناءا على قرار عقلي مطبقا واقعيا.

والجدير بالذكر، بالذكر أن البحث في ميدان الأخلاق تواجهه بعض الصعوبات نظرا لما تتميز به المشكلات الاجتماعية والإنسانية من تعقيد كون الإنسان موضوعها فهو كائن في نمو وتطور مستمر فنجد أن "جون ديوي" قد رفض الفصل بين النظر والعمل في الفلسفة، فأقبل الباحثين على الفصل بين مجال العلم الاجتماعي والطبيعي واعتبروا مواضيع العلوم الاجتماعية مثالية أزلية بينما العلوم الطبيعية تربط بالعالم المادي

---

[32]- جون ديوي: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص752

[33]- جون ديوي: إعادة البناء في الفلسفة- ترجمة: أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1،2010، ص150

[34]- John Dewey: essays in escperimental logic the university of chicago, chicagoillinois, p04

[35]- جون ديوي: المنطق نظرية البحث، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار الكتب والوثائق القزومية، القاهرة، دط،2010، ص755

[36]-جون ديوي: المنطق ونظرية البحث، ص757

المتغير لذا اعتقد فيلسوفنا أن "مادة المشكلات الاجتماعية وجودية لهذا فالعلوم الاجتماعية من فروع العلم الطبيعي بالمعنى الواسع لكلمة طبيعي"[37].

بالإضافة إلى ذلك، نجد أن ما يشكل عقبة أمام تقدم البحث في الميدان الاجتماعي هو استناده إلى الاستحسان والاستهجان الخلقي وغياب الثقة في إمكانية تطبيق المنهج التجريبي على البحث الاجتماعي لذلك يقول "ديوي": "ربما كان تناول الباحثين للمشكلات الإنسانية من ناحية اللوم الخلقي والاستحسان الخلقي ...هو أكبر العقبات التي تقف اليوم في طريق تطوير المناهج السديدة في مجال الدراسة الاجتماعية"[38]،فأصبحت العلل الاجتماعية تفسر تفسيرا خلقيا.

لذلك فالمخرج بالنسبة إلى ديوي يكون انطلاقا من رفض الفصل بين النظر والعمل، أي الفكر والواقع، ويستند "جون ديوي" إلى موقف سبينوزا spinoza(1632-1677) حيث يقول "وإننا لنجد ما يبرر الفكرة التي عرضها ودافع عنها سبينوزا من أن حدوث الشرور الخلقية لابد أن يعالج على نفس الأساس الذي يعالج به حدود الصواعق"[39] ففي نظره المنهج العلمي هو الحل الوحيد الذي يمكننا من صياغة المشكلات الأخلاقية صياغة موضوعية.

كما أن التيار البراغماتي قد ازدهر خصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية، و قد اكتست البراغماتية الأمريكية طابعا جديدا على يد جون ديوي فقد اتجه ديوي باهتمامه من ناحية العلوم الطبيعية " فأخذ المذهب السلوكي الذي قدمه واطسون و هو المذهب الذي يقول: إن العقل ما هو إلا ما يفعله الجسم "[40] و بتالي فإنه لا وجود لمعرفة حقيقة خارج المنهج العلمي ، فرفض جون ديوي الأفكار الميتافيزيقية و اتجه نحو التجربة و العالم المادي عن طريق الخبرة الإنسانية .

" فتعلمنا الخبرة أن كل شئ يتغير ، و أنه لا يوجد ثبات أو سكون لا في ميدان المادة و لا في ميدان العقل و الفكر نفسه ما هو إلا أداة من أجل العمل ، و لا يبدأ الإنسان في التفكير إلا حينما يصدم بصعوبات مادية يكون واجبا عليه التغلب عليها "[41].

ومنه، نستنتج أن الأفكار تتشكل قيمتها عندما تحقق غاية و نتيجة، فهي تشكل أداة و وسيلة للعمل تستخدمها الخبرة و تظهر في الواقع المادي، و بالتالي فإن آراء و نظريات جون ديوي قد أثرت بشكل كبير في الولايات المتحدة الأمريكية ، و الجدير بالذكر، أنه اهتم بدرجة أولى بالعلم و التكنولوجيا وهذا ما ساهم في بلورة فكره العلمي.

37- جون ديوي: المنطق ونظرية البحث، ص742

38- المصدر نفسه: ص753.

39- المصدر نفسه،ص752.

40- إ.مبوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، عالم المعرفة، الكويت، د ط ،1992 ،ص 162.

41- المرجع نفسه: ص 162.

المبحث الرابع: المنظور الجديد للأخلاق

من خلال دراستنا لفلسفة الأخلاق لديوي الفيلسوف الأمريكي الذي حمل على عاتقه مهمة إصلاح وتغيير المفاهيم الأخلاقية انطلاقا من مستجدات العصر، فحاول إعادة بناء المفاهيم الأخلاقية وتأسيسها على قواعد علمية واقعية.

فبدأ برفض ونقد السمات التي كانت تتميز بها الأخلاق قديما، فوصفها بأنها أخلاق تقليدية غير مسايرة للتطور الذي يعيشه الإنسان اليوم، فرأى بأن ظهور الأخلاق عند الشعب اليوناني بدأت من محاولة وضع أسس وقواعد تحكم السلوكات الإنسانية وكل هذا بالعقل الذي يقدم القوانين والقواعد الثابتة والنهائية التي لا تقبل التغيير.

فكانت القيم والمعايير الأخلاقية في ذلك العصر حسب ديوي ثابتة ومطلقة إذا وضعت على شكل قوانين فإنها تكون نهائية لا تقبل التبرير أو التحريف ومصدر هذه القواعد الأخلاقية هو العقل وما يمتلك من قدرات وسلطة تمكنه من إقامة التظلم الأخلاقية، حيث يقول:

"إذ تؤكد الأخلاق التقليدية على أن عدم انتظام الحالات الخاصة يستدعي دائما اعتمادنا في السلوك على الكليات"[42].

لكن "ديوي" يرفض هذا التعميم للمبادئ الأخلاقية، حيث يرى بأنها تختلف باختلاف الحالات التي يوضع فيها السلوك الإنساني، ويعتبر اختيار الموقف أو السلوك الأخلاقي والحكم عليه مرتبط بالإنسان واختياراته منطلقا من الخبرات التي يمر بها ويكتشفها، وأن عملية الاختيار والحكم سابقة لعملية ظهور الفعل،أي أن الإنسان حر في اختيار سلوكه وموقفه الأخلاقي، فهو يختار أفعاله قبل ظهور ذلك الفعل.

ويؤكد "ديوي" بأن الفعل لابد من البحث عنه لاختيار الأفعال الصحيحة والابتعاد عن الأفعال الشادة، وهذا البحث تتدخل فيه الخبرة أي التجربة التي يخوضها كل فرد أثناء عملية بحثه وذلك باستخدام الذكاء في تتبع نتائج الأفعال التي تتلاءم مع الاختيار الذي وضعه، أي أن "ديوي" يرى بأن الفعل الأخلاقي يختاره الشخص من خلال التجارب والخبرات التي يتعلمها ويكتشفها بذكائه، فجعل الأخلاق علما وأخرجها من طابعها الوعظي الإرشادي مثلما كانت عليه سابقا الأخلاق التقليدية، بحيث جعل من الفرد حر في اختيار أفعاله الأخلاقية بناء على اختيار نتائج الأفعال التي تتطابق مع الواقع الفعلي العملي، أي جعل الأخلاق تطبيقية تعتمد على الواقع الملموس بدلا من كونها مجرد نظريات تعتمد على القواعد التي يضعها العقل في غياب ذكاء الإنسان وبحثه.

في هذا السياق، يتحدث ديوي عن إنجازات فرانسيس بيكون في استخدام المنهج التجريبي وانتقاده للمنطق الكلاسيكي للوصول إلى المعرفة العلمية اليقينية، فيرى بأن "بيكون" ساهم في التخلص من الأفكار القديمة ومحاولة التقديم بالعلم أكثر دقة وواقعية.

"لذلك تهدف عملية إعادة البناء الفلسفية إلى فك الاشتباك والسماح لأفكار "بيكون" وأمانيه بالتعبير الصريح عن نفسها والتحرر من سيطرة المعتقدات القديمة"[43].

كما يرى "ديوي" في مفهومه الجديد عن الأخلاق بأنها تتحقق عندما تتخلص من المثالية والتجريد والتنظير لكل الأفعال وجعلها واقعية ملموسة تقف على الفرد وتجاربه التي تسمح له باختيار أفعاله.

"ويبدو أن الأخلاق الحقة تكمن في توضيح مآسي المثالية التي تؤمن بوجود عالم روحاني موجود ومستقل بذاته"[44].

ويرجع ديوي الأخلاق السيئة إلى الذاتية، حيث يبحث كل فرد عن مصلحته الخاصة.

---

[42]- جون ديوي: إعادة البناء في الفلسفة، ترجمة وتقديم: أحمد الأنصاري، مراجعة: حسن حنفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص146.

[43]- جون ديوي: إعادة البناء في الفلسفة، ص74

[44]- المصدر نفسه: ص123

ويعتبر منهج "الكليات" الذي تم استخدامه قديما قد فشل لأنه يقدم مجموعة من الأفكار والأوامر التي ينبغي على الكل الخضوع لها وعدم الخروج عنها دون التأكد من صحة ودقة هذه الأفكار.
"كان هناك اقتناع بأن الحصول على البرهان والضمان العقلي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا بدأنا من المفاهيم الكلية"[45].

وبالتالي فإن "ديوي" يرفض هذا المنهج الذي يقوم بتعميم كل الأفكار والأفعال والنظم الأخلاقية على جميع الحالات وجميع الأفراد، فيرى بأن المنهج لا يطبق الأسس العلمية الصحيحة، لذا يدعوا إلى استخدام المنهج الذي يستخدم في الظواهر الطبيعية وهو منهج التفكير المنطقي الذي يكون الأجدر والأنسب في إصدار الأحكام الأخلاقية حيث يتضح من هذا أن "ديوي" أراد أن يساوي بين الظواهر الطبيعية والظواهر الأخلاقية وجعل الأخلاق علما كغيرها من العلوم الأخرى. "لذلك نأمل أن تستخدم الأخلاق منهج التفكير المنطقي الذي ثبت نجاحه في إصدار الأحكام على الظواهر الطبيعية"[46].

حيث عوض نظام الفروض والقوانين المستخدم في المنهج الكليات قديما بالنظام الذي يستخدم في الظواهر الطبيعية الذي يكون أكثر صحة ودقة في وضع النظم الأخلاقية الصحيحة.

كما يرى بأن الأفعال تكون واقعية عملية وفردية تخص الفرد ذاته وحريته في اختيار أحكامه الأخلاقية، فلا ينبغي التعميم على كل الحالات وكل الأفراد، ويجب أن تكون دراسة كل فعل بحسب الحالة أو الظرف الذي نحن بصدده، أي دراسة الفعل كحالات خاصة دون تعميمها على كل الحالات الإنسانية الأخرى.
فالأفعال الأخلاقية أفعال فردية نتيجة استجابة فردية لحالة معينة(محددة) تخص الفرد.

بل تحتاج حسب "ديوي" لمناهج بحث وإلى الابتكار لتحديد الصعوبات ووضع الخطط التي تعمل على معالجة هذه الصعوبات.

ويعتبر "ديوي" حسب رفض منهج التعميمات والقول بأنه لكل موقف علاجه الخاص به هو تحويل النظرية الأخلاقية من المفاهيم المسبقة العامة إلى محاولة تطوير مناهج البحث التي تعمل على تغيير واقع النظريات الأخلاقية الثابتة إلى أخلاق عملية تتميز بالمرونة في تحديد المواقف الأخلاقية بحسب الحالات التي يواجهها الفرد ومدى ذكائه في مواجهتها.
حيث تبدو الأخلاق أكثر وضوحا عند مخالطتها هذه العلوم وتتخلص من طابعها الآمر.

" لا تصبح الأخطاء حينئذ... رذائل خلقية يمكن التكفير عنها أو الصفح. إنما تعد دروسا تتعلم منها المناهج الخاطئة التي يجب أن يتجنبها ذكاؤنا في المستقبل... فتنمو الغايات و تتحسن معايير الحكم " [47]

بمعنى أن "ديوي" جعل للأخلاق منهجا يعادل المناهج المستخدمة في العلوم الأخرى، حيث أقام منهج الكشف والبحث لإقامة البرهان على صحة النتائج التي يصل إليها الفرد من خلال أفعاله وذلك باستخدام ذكائه وبالتالي تصبح مسألة الحكم مسألة تجريبية.
حيث يقول "ديوي": "تحتل عملية الكشف والبحث في الأخلاق نفس المكانة التي تحتلها في العلم الطبيعي"[48].

ويؤكد "ديوي" بأن عملية الحكم على موقف أخلاقي معين لا تكون نفسها على كل الحالات، حيث حاول إزاحة بنية الأحكام التي كانت في السابق المبنية على الثوابت المنغلقة بدرجة الاقتراب من المثل العليا، بينما "ديوي" يعتبر بأنه لكل موقف حكم خاص به أي نحكم على الموقف كجزء بعد عملية البحث والكشف دون التعميم على كل الحلات.

---

[45]- المصدر نفسه: ص147
[46]- المصدر نفسه: ص147
[47]- المصدر نفسه: ص 154
[48]- جون ديوي: إعادة البناء في الفلسفة، ص153

رأى "ديوي" أن الأهداف الحقيقية هي النمو والتقدم وليس الوصول إلى النتائج الثابتة، حيث يجعل من التقدم والتطور الغاية الأخلاقية الوحيدة، فهي من خلال البحث عن النمو يحاول الإنسان ساعيا وراء تحقيق النضج والتعديل المستمر لتطوير الخبرة الإنسانية لتفادي الوقوع في الأخطاء التي واجهها في السابق.

كما يرى بأن السعادة لا توجد إلا في النجاح الذي يتحقق من خلال التقدم والتطور في المستقبل، فتكون السعادة عملية إيجابية للتخلص من مصادر الشر.

يعرض "ديوي" لمزايا النظرية النفعية التي حاولت استبدال النظرية الكلاسيكية ومفاهيمها بالانتقال إلى الواقعي الملموس واهتمت بالإصلاح، لكن في رأي "ديوي" أنها مع كل هذه المحاولات لكنها بقيت متأثرة بطرق التفكير القديمة حيث وضعت أهداف نهائية ومحددة كغيرها من النظريات، وخلفت أضرار اجتماعية، لذا لم تعد النفعية قادرة على تمثيل الروح المعاصرة حسب قول "ديوي" لأنه في نظرية وإعادة بنائه لمفهوم الأخلاق أزاح المبدأ الثابت الكلي واستبدله بالنمو والتطور المستمر فلا وجود لغاية ثابتة ونهائية. "لقد أصبحت النفعية بسبب اعتقادها...منهجا عاجزا عن تمثيل الروح المعاصرة"[49]

إن الأخلاق تساعد من خلال الخبرة للانتقال من الأسوأ إلى الأفضل، فالطفل منذ صغره يعيش حالة من النمو المستمر من خلال اكتساب مختلف المعارف.

"...إن النمو أو إعادة البناء المتواصلة للخبرة يمثل الغاية الوحيدة"[50].

يرى "ديوي" بأن الأخلاق عندما تتحد بعملية تحقيق النمو فإنها تصبح أفضل الوسائل التي تستطيع تحقيق التقدم الاجتماعي وإعادة تنظيمه.

*من خلال عرض أهم النقاط التي أقامها "ديوي" في مفهومه الجديد للأخلاق، نلاحظ بأنه من بداية نظريته إلى نهايتها وهو يحاول تأكيد فكرة رئيسية وهي أن: الأخلاق قد طرأت عليها تحولات، فلم تعد تلك الأخلاق كالمبنية على الطابع الوعظي الآمر والتي تعبر عن مجموعة من القواعد التي يضعها العقل فتكون القواعد الأخلاقية قانونا لا يتغير من وقت لآخر أو من فرد لآخر وتخضع لمبدأ الكليات والتجريد والتعميم للأحكام الأخلاقية.

لكن "ديوي" رفض هذه النمطية من الأخلاق التي وصفها بأنها أخلاق تقليدية وجاء لإعادة بناء المفاهيم الأخلاقية وجعل منها علما واقعيا عمليا تستخدم أدوات البحث التجريبي الموجودة في العلوم الطبيعية فاستبدل منهج الكليات والتعميم بمنهج الاستناد على التجارب والخبرات التي يكتشفها الفرد بنفسه الذي يستطيع إطلاق أحكامه الأخلاقية بحرية بناء على ذكائه وقدراته الشخصية فأصبحت الأخلاق مسألة شخصية تتعلق بالفرد والموقف الذي يتعرض له ويحكم عليه كجزء فقط دون التعميم على كل الحالات، وهذا ما يجسد فلسفة الأخلاق "الديوية" التي أعطت للأخلاق مفهوما جديدا عمليا يتماشى مع متطلبات العصر ومع العلوم الأخرى.

---

[49]- جون ديوي: إعادة البناء في الفلسفة، ص159.

[50]- المصدر نفسه، ص160.

خلاصة:

نستنتج مما سبق ذكره، بأن جون ديوي قد قدم رؤية جديدة للأخلاق، حاول من خلالها إعادة بناء المفاهيم الأخلاقية ووضع معايير جديدة للأحكام الأخلاقية، منتقدا النظرة القديمة للأخلاق المبنية على المثالية والطابع الوعظي وبالمقابل أكد على ضرورة جعل الأخلاق علما كغيرها من العلوم الأخرى خاضعة لأحكام تجريبية مثل ما هو موجود في العلوم الطبيعية، وبالتالي فهو جعل من الأخلاق نظرية علمية تابعة للفرد ومدى قدراته الشخصية وخبراته الحياتية.

فهي ليست مجرد قواعد ثابتة، وإنما عملية خاصة بكل فرد له الحرية في اختيار مبادئه الأخلاقية بشرط أن تتناسب مع الواقع العملي والطبيعة البشرية، فمن خلال فلسفة "ديوي" الأخلاقية لم تعد الأخلاق مثلما كانت عليه في السابق نابعة من الأحكام المطلقة الثابتة، بل تحولت إلى الطابع العلمي والعملي، وأصبحت تتماشى مع العلوم الأخرى، وهذا هو الجديد الذي جاء به فيلسوفنا المعاصر "جون ديوي" في نظريته الأخلاقية.

نقــد:

هناك جملة من الانتقادات التي وجهت للفلسفة البراغماتية عامة والى جون ديوي خاصة، فقد جعل القيمة الأخلاقية متغيرة بحسب الزمان والمكان واستبعد كل ما هو مطلق وثابت فقد جعل القيم مجرد وسيلة لتحقيق منافع، فإذا كان مقياس العمل الخيرّ هو ما يحققه بالفعل في الواقع، فإن التسابق هنا لن يكون من اجل نشر الخير والفضيلة وإنما سيكون من اجل تحقيق أكبر قدر من المصالح والمنافع، وهذا لا يمكن ان يكون ضمن القيم والمبادئ الأخلاقية لأن الهدف مادي.

كما أن نظرتها النسبية المتغيرة للقيمة ترفض وجود غايات مطلقة في ذاتها وجعل القيم الأخلاقية مجرد وسيلة يجعل البراغماتية لا تحمل أية غايات إنسانية شاملة، فكل فرد وكل مجتمع سيعمد الى خلق ما يناسبه من معايير.

بالإضافة إلى ذلك، نجد أن البراغماتية كمذهب فلسفي لا يستطيع أن يقدم لنا فهما شاملا للقيم جميعا، لأنها تفتقد إلى الأسس الثابتة والموضوعية للقيمة الأخلاقية

كما أن القول بتطور القيم الأخلاقية على شاكلة تطور الأشياء الحيوية لا يوجد ما يقابله في الواقع، فتأثر جون ديوي بداروين جعله يعتقد ان القيم قابلة للتطور والتغير والاضمحلال والزوال، لكن لو كان هذا صحيحا لتغيرت الشرائع والقوانين والنصوص الأخلاقية عبر الزمن، ففي المجتمعات الإسلامية، كما في مجتمعات أخرى، ما يميز القيم هو مطلقيتها وثباتها، حتى تصلح لأن تكون قاعدة لتنظيم سلوكات الفرد وعلاقاته بغيره من أفراد المجتمع.

استطاع التيار البراغماتي مسايرة التطور الحاصل في مجال العلم، لكن القيمة الأخلاقية تختلف عن الوقائع المادية نظرا لطبيعتها المجردة بينما مواضيع العلم هي مواضيع من طبيعة مادية.

لا يمكن التعامل مع الظواهر المجردة بنفس الطريقة التي تُختَبر بها المواضيع التي تنتمي الى مجال العلم.

خاتمـــة:

خاتمة بحثنا عبارة عن مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا العمل المتواضع اعتقادا منا أنها تجربة فكرية استحقت البحث والدراسة دون أن ندّعي مع ذلك أننا ألممنا بكل الجوانب المتشعبة في فكر ديوي، وأهم هذه النتائج:

شهدت الأخلاق تطورا واضحا واختلافا بين الفلاسفة في كل عصر من العصور، فبينما نجد أن الحضارات الشرقية القديمة قد ركزت على الجانب العملي، فإن الفلسفة اليونانية بلغت درجة كبيرة من العقلانية والتجريد.

أما في العصور الوسطى، فإن لفكرة الإله مكانة كبيرة في صياغة القوانين الأخلاقية.

وفي العصر الحديث، برزت العقلانية الأخلاقية مع "توماس هوبز" ودافيد هيوم.

تعددت النظريات الأخلاقية في العصر المعاصر فأعلت من دور العقل الإنساني وسمحت للإنسان باختيار أفعاله، حيث نجد الفيلسوف "جون راولز" قد ربط الأخلاق بالسياسة مما جعلها عملية، أما "برتراند راسل" فالأخلاق في نظره تنطلق من الفرد وتتطور في كنف الجماعة.

تأثرت الفلسفة البراغماتية بالمذهب التجريبي مع "جون لوك" والمذهب النفعي مع "جيرمي بنتام".

كما أن حركة التنوير هي بمثابة نشاط شهدته أمريكا وأطلق عليها عصر الاستنارة الأمريكي، حيث برز التفكير العقلاني الذي تجسد في أفكار "توماس جيفرسون" وبنيامين فرانكلين".

يعد "جون لوك" الدعامة الأساسية لتي استقى منها القادة الأمريكان تفكيرهم السياسي كما أن له صدى في تأسيس البراغماتية.

يعتبر المذهب البراغماتي من أهم التيارات الفلسفية الكبرى التي نشأت بشكل فلسفي واضح من خلال أفكارها العملية انطلاقا من أبرز مؤسسيها: "تشارلز بيرس" وليام جيمس، "جون ديوي" فأصبحت الأفعال الصحيحة هي التي تحقق آثار ونتائج عملية، فأصبحت كل الأفكار خاضعة لمنهج جديد علمي وهو ما استخدمه "جون ديوي" في فلسفته الأخلاقية.

لقد كان "لجون ديوي" العديد من المرجعيات الفكرية، أبرزها فلسفة "داروين" في التطور التي أثرت تأثيرا بالغا في فلسفته.

جعل ديوي من العمل أداة لتحقيق الأفكار في الواقع المعاش والفكر لتوجيه التجربة العملية.

كما أن لديوي العديد من الاهتمامات الفلسفية التي تعكس كلها الطابع البراغماتي العملي لفلسفته، فجعل من التربية وسيلة الإصلاح الاجتماعي مركزا على دور المدرسة في بناء قيم الديمقراطية.

لقد جعل "ديوي "من "الخبرة" أساس كل الأفعال الإنسانية، أي الفن خبرة والتربية خبرة، وكل الممكنات التي يحققها الانسان في حياته يكون مصدرها الخبرات والتجارب التي يعيشها الإنسان.

ربط ديوي الفن بالفلسفة والعلم لأن كل من الفنان والفيلسوف والعالم في نظره مهمتهم الإبداع الفكري.

تتميز فلسفة الأخلاق عند ديوي بجملة من الخصائص:

- الأخلاق تتعلق بالطبيعة البشرية و السلوكات الإنسانية.
- الأخلاق مرت بمرحلتين في تطورها حسب ديوي:

المرحلة الأولى: الأخلاق العرفية والتي يكون مصدرها العرف و المجتمع.

المرحلة الثانية: الأخلاق التأملية الفردية والتي يكون مصدرها الفرد فيكون حرا في وضع أفعاله وأحكامه الأخلاقية.

- لقد انتقد "جون ديوي" النظرة التقليدية المثالية للأخلاق
- الأخلاق عند "جون ديوي" صادرة عن المجتمع وتنشأ من التربية، وهذ ما يجعلها تتسم بالتطور والتغيير المستمر بما يتلائم مع الإنسان وظروفه الاجتماعية.

- إن السلوك الإنساني هو تفاعل بين الإنسان وبيئته الاجتماعية فوفق بين ذات الفرد كدافع وبين البيئة التي ينشأ فيها الفرد.
- إن القيم الأخلاقية عند "ديوي" ترتبط بالنظم الاجتماعية والمادية مما يجعلها إنسانية واقعية تقوم على الخبرة الإنسانية المعاشة.
- قام ديوي بإخضاع المشكلات الأخلاقية للمنهج العلمي فقد رأى أن منهج الأخلاق يجب أن يكون علمي، فالعمليات الأخلاقية يمكن اختبارها وتجربتها.
- لقد الغى "ديوي" مبدأ الكليات والتعميم الذي كان سابقا، دعا الى الحكم على السلوك أو لفعل بأنه أخلاقي فيما يتعلق بكل موقف وخصوصياته، فهو يختلف باختلاف الأفراد والظروف التي يوجد فيها ذلك الفعل.
- لقد كان الهدف الأهم لفلسفة "ديوي" الأخلاقية هو جعل الأخلاق علما كغيرها من العلوم الأخرى وتطبيق خطوات المنهج العلمي على الظاهرة الأخلاقية.
- الأخلاق عند "جون ديوي" هي الوسيلة والأداة لتحقيق النمو والتقدم الإنساني في مختلف الأصعدة.
- تعتبر فلسفة "ديوي" الأخلاقية من أهم الفلسفات المعاصرة التي تركت بصمتها داخل الحقل الفلسفي والفكري في أمريكا.

قائمة المصادروالمراجع:

أ- قائمة المصادر

- **باللغة العربية**

1. جون ديوي: إعادة البناء في الفلسفة، ترجمة وتقديم: أحمد الأنصاري، مراجعة حسن حنفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة،ط1، 2010.
2. جون ديوي: البحث عن اليقين، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.
3. جون ديوي: الحرية والثقافة، ترجمة أمير مرسي قنديل، مطبعة التخزين،2003.
4. جون ديوي: الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ترجمة: محمد لبيب النجيحي، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، نيويورك، 1963.
5. جون ديوي: الفردية قديما وحديثا، ترجمة خيري حماد، مراجعة مروان الجابري، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1920-1930.
6. جون ديوي: الفن والخبرة، ترجمة زكرياء ابراهيم، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 2011.
7. جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن الرحيم، دار مكتبة الحياة، (بيروت-لبنان)، 1978.
8. جون ديوي: المنطق نظرية البحث، ترجمة زكي نجيب محمود، تقديم الرشيد الصادق محمودي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، دط، 2011.
9. جون ديوي: الديمقراطية والتربية، ترجمة منى عفراوي وزكريا ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1946.

- **باللغة الاجنبية:**

- Dewy-John, Essays in Experimental Logic, the University of Chicago, Chicago Illinois.

ب- قائمة المراجع

1. ابراهيم عبد المجيد اللبان: توفيق الطويل، مشكلات فلسفية، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1954.
2. ابراهيم مصطفى ابراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، أ، م بوشنكي، الفلسفة المعاصرة في أروبا، تر: عزة قرني، عالم المعرفة، الكويت، 1978.
3. ابن مسكوية: تهذيب الأخلاق في التربية، دار الكتب العلمية، دط، 1985.
4. أحمد أمين: الأخلاق، لجنة التأليف والترجمة والنشر، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1، 1925
5. أحمد فؤاد الأهواني: نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، ط3 ،1986
6. أرسطو طاليس: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس: دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1924
7. أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
8. أندريه كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، دار الشعب، القاهرة، 1979.
9. إمبوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا ، عالم المعرفة، الكويت، د ط ،1992.
10. برتراند راسل: المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة: عبد الكريم احمد، مراجعة حسن محمود، مكتبة الأنجلو مصرية.
11. بيتر كار: تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال 2000 عام، ترجمة حسن نصار، مكتبة الأنجلو مصرية،1980.

12.ترجمة رشا سعد زكي، كلمات عربية للنشر والترجمة، ط1، 2008،
13.توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط،1953
14.جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا، دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت-لبنان، دط،2001.
15.جمال المرزوقي: الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2001.
16.جون ربور ميلتون : الفلسفة وقضايا العصر، ترجمة احمد حمدي محمود، الجمعية البشرية العامة للكتاب، 1990.
17.زالفان وين: قاموس جون ديوي للتربية، مختارات من مؤلفاته، ترجمة محمد علي العريان، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، دط، 1964
18.زكريا ابراهيم: المشكلة الخلقية، مكتبة مصر،1975.
19.زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشرق، دط، 1952،
20.زكي نجيب محمود : من زاوية فلسفية، دار الشروق، القاهرة، ط-1 ،(1399هـ/1979م)
21.صلاح قنصوة:نظرية القيمة في الفكر المعاصر، دار الثقافة، القاهرة، 1986
22.عبد الحي محمد قابيل: المذاهب الأخلاقية في الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط،1984،
23.عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1962،
24.عبد العال عبد الرحمن : دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقي عن فلاسفة اليونان، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، ط2، 2003.
25.علي عبد الهادي المرهج: الفلسفة البراغماتية، أصولها ومبادئها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 2008.
26.عبد الله العروي، مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط-5، 1993.
27.فريدريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة من أوغسطين إلى داترسكوت، القاهرة، ط1، 2010،
28.فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1،1993،
29.كامل محمد محمد عويضة: وليام جيمس، رائد المذاهب البراغماتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1993.
30.كريستوفر هنشتر،توماس جيفرسون وإعلان استقلال أمريكا، ترجمة رشا سعد زكي، كلمات عربية للترجمة و النشر، ط-1، 2008.
31.محمد سيد أحمد: الأخلاق عند هيوم، دار الثقافة، القاهرة، دط، 1992،.
32.محمد عبد الرحمان مرحبا، الموجز في تاريخ الأخلاق، بروس، برس ، طرابلس ، لبنان، د ط،1988.
33.محمد عبد الله دراز: الدين- بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت، د ط، د س.
34.محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء للطباعة والنشر،القاهرة، دط، 1998.
35.مرتضى المطهري، المنطق، دار الولاء، بيروت، لبنان، ط -2 ، 2011.
36.مصطفى عبده: فلفسة الأخلاق، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط-2 ، 1999.
37.مصطفى النشار: فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، دار الثقافة العربية، القاهرة، ، دط، 2006

38.ناجي التكريتي: فلسفة الأخلاق بين أرسطو ومسكوية، دار دجلة، عمان، (دط)، 2012
39.نبيل عبد الحميد عبد الجبار: توماس هوبز ومذهبه في الأخلاق السياسية، دار دجلة،(دط)، 2007.
40.نورى جعفر: جون ديوي حياته وفلسفته، مطبعة الزهراء، بغداد،(د ت)،(دط).
41.هربرت شندر: تاريخ الفلسفة الأمريكية، تر محمد فتحي الشطي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط، 1964.
42.وليام كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمد محمود السيد، مؤسسة مصطفى قنصوة للتجارة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
43.يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1993.
44.يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،دط 2014.
45.يول. ف بولر: الحرية و القدرفي الفكر الأمريكي من إدواردز إلى ديوي ، مكتبة الأنجلو مصرية،(د-م)،(د-س) .

المجلات:

1. أحلام محمد حكمي : البراجماتية: دراسة تحليلية نقدية، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين و الدعوة بالمنوفية، العدد السادس و الثلاثون، 1438هـ-2017 م
2. حنيفي جميلة: دور المدرسة في بناء الديمقراطية لدى جون ديوي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد10، جوان2013.
3. ديفيد هيلدبراند: جون ديوي، موسوعة ستانفورد للفلسفة، ترجمة ناصر الحلواني، مراجعة سيرين الحاج حسين، مجلة حكمة.
4. رافد قاسم هاشم: جون ديوي، و المنهج البراجماتي ، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية، العدد 39، حزيران، 2018
5. رشيد الإدريسي: من اجل دور موسع للتربية والديمقراطية، الأسس والأهداف، المدرسة المغربية، عدد مزدوج8/7، نوفمبر 2017.
6. كفاء يحي صالح العسكري: الغزالي وجون ديوي نظرتهما للطبيعة الإنسانية، لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي افريل،2013، العدد2.
7. ليون تروتسكي وجون ديوي، أخلاقهم وأخلاقنا، وجهتا النظر الماركسية و الليبرالية في المثل الأخلاقية، ترجمة سمير عبده، دار الآفاق الجديدة بيروت، النسخ الإلكتروني، جريدة المناضلwww.almenadil-a-info.

الموسوعات و المعاجم:

1. ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983.
2. جمال الدين سعيد:معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية دار الجنوب، تونس، 2004.
3. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، الجزء 1، بيروت، لبنان، ط1،2001.
4. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة(الفلاسفة- المناطقة- المتكلمون- اللاهوتيون- المتصوفون)، دار الطليعة، بيروت، ط-3 ، 2006
5. عبد المنعم الحنفي: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 2000.
6. مراد وهبة، المعجم الفلسفي: دار القباء الحديثة للنشر والتوزيع، ط5، القاهرة،2007.

7. جوناثانري: الموسوعة الفلسفية المختصرة ، ترجمة فؤاد كامل وجلال الشري وعبد الرشيد صادق، مراجعة وإشراف نجيب محمود، القاهرة،ط1، 2013.
8. خالد بن جمعة بن عثمان الخزار: موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر،الكويت، القاهرة، ط2009،1.
9. عبد المنعم الحنفي: الموسوعة الفلسفية، مكتبة مدبولي، دار ابن زيدون، القاهرة، بيروت، دط، دت.

الأطاريح:

1. بلحنافي جوهر: الأخلاق و السياسة بين الرواقية و الفكر الإسلامي ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة، وهران، 2014-2015.
2. عباس يسرى: مفهوم الليبيرالية عند جون ستيوارت ميل ، مذكرة ماستر فلسفة عامة ،كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، بسكرة، 2020.

مقـــــالات:

1. كحول سعودي : الحدس الصوفي و نظرية الأخلاق عند القديس أوغسطين، مجلة مفاهيم الدراسات الفلسفية و الانسانية المعمقة ، مجلد 3 – العدد 20، جامعة زيان عاشور ، الجلفة بتاريخ: 23-09-2020

الفهـــرس

الإهـــــداءات	
الشكـــر و العرفان	
المقدمة	أ - ب
مدخل مفاهيمي.	8
أ- مفهوم الأخلاق.	8
ب-مفهوم البراغماتية.	9
الفصل الأول: التطور التاريخي للأخلاق وظهور البراغماتية الأمريكية	
المبحث الأول: لمحة تاريخية عن تطور الأخلاق	9
1. الأخلاق في الفكر الشرقي القديم:	9
أ-الحضارة الهندية "البوذية"	9
ب- الحضارة الكونفوشيوسية " كونفشيوس أنموذجا"	10
2. الأخلاق في الفلسفة اليونانية:	11
أ. أفلاطون	12
ب. أرسطو	12
3. الأخلاق في العصور الوسطى:	13
أ. في الفلسفة المسيحية: القديس أوغسطين " أنموذجا"	14
ب. في الفلسفة الإسلامية: ابن مسكويه "أنموذجا"	15
4. الأخلاق في العصر الحديث:	15
أ. توماس هوبز" أنموذجا"	15
ب. دافيد هيوم " أنموذجا"	15
5. الأخلاق في الفلسفة المعاصرة:	17

أ. برتراند راسل " أنموذجا"	17
ب. جون راولز " أنموذجا"	18
المبحث الثاني: الجذور التاريخية لظهور البرغماتية	19
1- الجذور الفلسفية:	19
1-1- الفلسفة اليونانية	19
أ- السفسطائية	19
ب- الأبيقورية	20
2. في العصور الوسطى:	20
- القديس أوغسطين" أنموذجا"	20
3.في العصر الحديث:	21
أ-المدرسة التجريبية: جون لوك " أنموذجا"	21
ب-المدرسة النفعية:جيرميبنتام " أنموذجا"	21
2- الجذر العلمي:	23
المبحث الثالث: حركة التنوير في المجتمع الأمريكي	24
المبحث الرابع: البرغماتية الأمريكية و أبرز أفكارها العملية	25
الفصل الثاني: جون ديوي الإنسان و المفكر	
المبحث الأول: حياته ومؤلفاته	31
أ – حياته	31
أ- مؤلفاته	32
المبحث الثاني: منابع فكر جون ديوي	33
المبحث الثالث: معالم فلسفته	34
أ- فلسفة الخبرة عن جون ديوي	34
ب- التربية وسيلة التغيير الاجتماعي	35
ج- الديمقراطية عند جون ديوي	36
د- الفن صلته بالعلم والفلسفة عند جون ديوي	37

هـ- المنطق	38
و- تصور ديوي للحرية	39
ز- الدين	40
الفصل الثالث:فلسفة الأخلاق عند جون ديوي	
المبحث الأول: الأخلاق ومراحل تطورها عند جون ديوي	44
أ-في مفهوم الأخلاق	44
ب- مراحل تطورها	46
المبحث الثاني:أصل القيمة الأخلاقية وموقف ديوي منها	47
أ- القيمة الأخلاقية ذاتية	47
ب-القيمة الأخلاقية موضوعية	48
ج- موقف جون ديوي من أصل القيمة الأخلاقية	49
المبحث الثالث: إخضاع الظاهرة الأخلاقية للمنهج العلمي	50
المبحث الرابع: المنظور الجديد للأخلاق	53
النقد	57
الخاتمة	58
قائمة المصادر و المراجع	60

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على فلسفة الأخلاق عند الفيلسوف الأمريكي جون ديوي، انطلاقا من التطرق للخلفيات الفكرية للفلسفة البراغماتية بشكل عام، والمرجعيات الفكرية لجون ديوي، محاولين توضيح النظرة الجديدة الذي صاغها لمفهوم الأخلاق، والسياق العلمي الذي شكل هذا المنظور الجديد الذي جاء كرفض للفلسفات التقليدية المثالية، محاولا إيجاد سبل لربط الفكر الفلسفي بواقع الإنسان اليوم، و بالتالي توجيه الاهتمام بالفلسفة الأخلاقية لجون ديوي نظرا لأهميتها في الوقت الراهن.

الكلمات المفتاحية:

الأخلاق - جون ديوي - البراغماتية- الخبرة- نظرية التطور- المنهج العلمي

Summary:

This study aims to shed light on the philosophy of ethics of the American philosopher John Dewey, based on addressing the intellectual backgrounds of pragmatic philosophy in general, and the intellectual references of John Dewey, trying to clarify the new view that he formulated for the concept of ethics, and the scientific context that formed this new perspective that came as a rejection of philosophies Traditional idealism, trying to find ways to link philosophical thought to the reality of man today, and thus directing attention to the moral philosophy of John Dewey due to its importance at the present time.

Key words :

Ethics- John Dewey-Pragmatism-Experience-The theory of evolution-scientific method